

تأملات في

سورة الفاتحة

إعداد

د. عبد الله بن علي بصفر

دار نور المكتبات

بجميع حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الثانية

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

دار الفکر المكتبات

السعودية - جدة - محط السلامة - بجوار جامع الشعيبي
هاتف وفاكس: ٦٨٣٨٠٥١ - صرب: ٤٠٣٧٤ - الرقم البريدي: ٢١٤٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين؛ وبعد :
فإن كثرة التأمل في سورة الفاتحة مهم للمسلم ، ذلك أنه يقرأها كل يوم
سبع عشرة مرة ، فهي أكثر السور تكراراً وترداداً ، وما كان اختيارها إلا
لحكمة عظيمة بالغة من رب العالمين تبارك وتعالى .

وهي أفضل سور القرآن الكريم ، فكان لا بد أن يكثر طلاب العلم من
الكتابة فيها ، ومع ذلك ما وفوها حقها ، وستظل هذه السورة بجزاً زاحراً
يغرف منه الأئمة والخطباء وطلاب العلم .

وأصل هذا الكتاب كان خطباً للجمعة ألقى بجامع الشيعبي بجدة ؛
أحببت أن تعم الفائدة بها ، وأن ينالني ثوابها ، فجمعتها ورتبتها في هذه
الصفحات ، واجتهدت في هذه الرسالة أن تكون على طريقة النظر في أبرز
ألفاظ هذه السورة، وما يقابلها من آيات القرآن الكريم، وكذلك ما جاء في
سنة النبي ﷺ مما له صلة بهذه الألفاظ ، فوجدت أموراً كثيرة ترتبط بعضها
ببعض، ولعل المتعمق أكثر يجد روابط وعلاقات بين هذه الأمور بشكل أكبر
وما ذكرته قليل من كثير مما لو تأمل فيه المتأمل ، ونظر فيه الناظر لوجد
أنه يسير من معنى إلى معنى مجاور بلا توقف، مما يجعل هذا القرآن الكريم بحق
جزاً لا ساحل له، وصدق الله ﷻ إذ يقول: { وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ

أَقْلَمَ وَالْبَحْرِ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ } [لقمان : ٢٧]

والله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، والحمد لله رب العلمين .

وكتبه / د. عبد الله بن علي بصفر

الاستعاذة

معنى الاستعاذة (١) :

معنى الاستعاذة : هي الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجنابه من شرِّ كلِّ ذي شر .

والعيادةُ بالله تكون لدفع الشرِّ ، واللياذ يكون لطلب جلب الخير ، قال المتنبى في ذلك :

يأمنُ ألوذ به فيما أوُمَّله ومَن أعوذ به مما أحاذره
لا يجير الناس عظماً أنت كاسره ولا يهيضون عظماً أنت جابره

والشيطان في لغة العرب مشتقٌّ من (شَطَن) ، إذا بَعُدَ فهو بعيدٌ بطبعه عن طباع البشر، وبعيدٌ بفسقه عن كلِّ خير ؛ وبعيد عن كلِّ صلاح ورشد ، فلذلك سُمِّيَ بالشيطان .

صيغتها :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

ولو قال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فلا بأس به ، والأول أصح وأشهر .

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/١٤٠) ط . دار ابن حزم بتحقيق د. محمد إبراهيم البنا ، وهو هنا بتصريف يسير .

وهناك لفظ ثالث جاء عن النبي **e** فيما رواه أصحاب السنن الأربعة وهو بعد دعاء الاستفتاح ، فعن أبي سعيد الخدري **t** قال : كان رسول الله **e** إذا قام من الليل واستفتح صلاته وكبّر ، قال : (سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك) ثم يقول : (لا إله إلا الله) ثلاثاً ، ثم يقول : (الله أكبر كبيراً) ثلاثاً ، ثم يقول : (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه) ثم يقرأ ^(١) .
وهمزه : الجنون ، ونفخه : الكبر ، ونفثه : الشعر .

حكماها :

جمهور العلماء على أنها سنة عند تلاوة القرآن وقبل الفاتحة في الصلاة لقوله تعالى : { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } ^(٢) .

وهي مستحبة عند التداوي بالقراءة، وفي أول كل ركعة، وقيل : إنما تستحبُّ عند الركعة الأولى ، ويستحبُّ التعوذ أيضاً في التكبيرة الأولى من صلاة الجنابة .

(١) أخرجه أبو داود (٧٧١) واللفظ له ، والترمذي (٢٤٢) كلاهما في الصلاة ، والنسائي (٨٩٨) كتاب الافتتاح ، وابن ماجه (٨٠٤) في الإقامة ، وهو في المسند (٥٠/٣) .

(٢) النحل : ٩٨ - ١٠٠ .

ورودها في القرآن الكريم :

وجاءت في القرآن العظيم في أربعة مواضع :

الموضع الأول : قوله تعالى : { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (١).

الموضع الثاني : قوله : { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ } (٢).

الموضع الثالث : قوله تعالى : { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (٣).

فهذه الآيات تأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه، ليرجع عن طبعه السيء . أما العدو الجني فليس له إلا الاستعاذة بالله منه ؛ لأنه لا مصانعة معه ولا يقبلها ؛ فعداوته ظاهرة، وهو لا يريد لابن آدم إلا الأذى والضرر .

الموضع الرابع : قوله تعالى : { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } (٤).

(١) الأعراف : ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٢) المؤمنون : ٩٦ - ٩٨ .

(٣) فصلت : ٣٤ - ٣٦ .

(٤) النحل : ٩٨ - ١٠٠ .

الحالات التي يُستحبُّ ذكر الاستعاذة فيها :

ولقد علّمنا النبي e الاستعاذة بألفاظ مختلفة لحالات عديدة منها :

١- روى مسلم عن عثمان بن أبي العاص t أنه أتى النبي e فقال :
يا رسول الله ، إنّ الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي ، وقراءتي يُلبّسها عليّ -
أي أن الشيطان يوسوس له في صلاته ، فإذا جاء يصلي تذكّر الدنيا ،
وتذكر التجارة ، وتذكر اللهو ، وتذكر اللعب . فالشيطان يريد أن يصرفه
عن ذكر الله تبارك وتعالى ، وعن الصلاة - فقال له e : (ذاك شيطانٌ
يقال له خنزَبٌ ، فإذا أحسسته ، فتعوذ بالله منه ، واتفل على يسارك
ثلاثاً) قال : ففعلت ذلك فأذهبه الله عني (١) .

وهذا الشيطان هو عدونا جميعاً لأنه كثيراً ما يلبس علينا صلاتنا ، وكثيراً
ما يضيّع الناس عن قراءتهم لله تبارك وتعالى ، ووقوفهم بين يدي الله U ،
فإذا صلّى الإمام وسألت بعض المأمومين: ماذا قرأ الإمام في الركعة الأولى ؟
لما استطاع الجواب !! لأنه ليس هنا ، وإنما هو هناك في مكان آخر لا يعلمه
إلا الله تبارك وتعالى ، وهذا حال كثير من الناس ، فعدوُّنا إذاً في الصلاة هو
الشيطان (خنزَبٌ) ، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ، واتفل عن يسارك ثلاثاً.

(١) رواه مسلم (٢٢٠٣) .

(قال : ففعلت ذلك فأذهب الله ذلك عني) استعاذ بالله U ، التجأ واعتصم وتمسك بالله تبارك وتعالى وقال : (أعوذ بالله من الشيطان الرحيم) .

وينبغي عند الإستعاذة أن تُقال من قلب صادق ، من قلب يريد الله ، يريد أن يخشع في صلاته ، يريد أن يقف متبتلاً بين يدي الله U ، من قلب يعلم أنه لا يلوذ ولا يعوذ إلا بالله سبحانه وتعالى .

٢- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله e كان يعلمهم من الفزع - يعني : في النوم أو الدهشة - كلمات : (أعوذ بكلمات الله التامة ، من غضبه وشرِّ عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون) قال : وكان عبد الله بن عمرو يعلمهنَّ من عقل من بنيه، ومن لم يعقل كتبه فعلقه عليه^(١) .

٣- وعن أبي قتادة t قال : قال النبيُّ e : (الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان ، فمن رأى شيئاً يكرهه، فلينفث عن شماله ثلاثاً، وليتعوذ من الشيطان، فإنها لا تضره)^(٢) .

٤- وعن أنس t أن الرسول e كان يقول عند دخول الخلاء : (اللهم إني أعوذُ بك من الخبثِ والخبائث)^(١) .

(١) رواه أبو داود (٣٨٨٩) في الطب ، باب : كيف الرُّقى ؟ ، والترمذي (٣٥٢٨) في الدعوات ، وقال : حديث حسن غريب .

(٢) رواه البخاري (٦٩٩٥) ، ومسلم (٢٢٦١) .

والخبث : ذكور الجن ، والخبائث : نساؤهم.

٥- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول : (إن أباكما كان يعوذُ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة) (٢) .

والهامة : هي كلُّ ذات سمٍّ يقتل كالحية وغيرها .

والعين اللامة : هي التي تصيب من نظرت إليه بسوء .

وتعويد الصغار مطلوب ، لأن الصغير ضعيف بطبعه ، ولا يستطيع أن يتحصن بالقرآن ، ولا يستطيع أن يذكر الأذكار والأدعية والآيات ؛ هو لا يستطيع التلفظ ، فالأب والأم عليهما مسئولية التعويد ، فكان عليه الصلاة والسلام يُعوذ الحسن والحسين بهذه التعويذة العظيمة .

٦- وعن خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إذا نزل أحدكم منزلاً فليقل : أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق ، فإنه لم يضره شيءٌ حتى يرتحل منه) (٣) .

٧- وعن أبي هريرة **t** أن النبي ﷺ قال : (إذا سمعتم صياح الديكة ، فاسألوا الله من فضله ، فإنها رأت ملكاً ، وإذا سمعتم نهيق الحمار

(١) رواه البخاري (١٤٢) ، ومسلم (٣٠٥) .

(٢) رواه البخاري (٣٣١٧) .

(٣) رواه مسلم (٢٧٠٨) .

— وفي رواية : نباح الكلاب — فتعوذوا بالله من الشيطان ، فإنها رأت شيطاناً (١) .

وفيه استحبابُ الدعاءِ عند سماعِ صياحِ الديكة ، لأنها رأت ملكاً من الملائكة ؛ والملائكة إنما تأتي بالخير والرحمة ، ولعل الوقت أن يكون وقت إجابة للدعاء .

وفيه : استحباب التعوذ بالله من الشيطان ، عند سماع نهيق الحمير أو نباح الكلاب فإنها رأت شيطاناً ، والشيطان إنما يوسوس بالشر ويدعو إليه ؛ فلذا يستحب الاستعاذة منه .

٨- وعن سليمان بن صُرد **t** أنه قال : كنت جالساً مع النبي **e** ورجلان يستبان ، فأحدهما قد احمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه - أي أن الرجلان اختصما حتى وصلا إلى درجة السبابِ بينهما ، وأحدهما احمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه من شدة الغضب - فقال **e** : (إني لأعلم كلمةً لو قالها ذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . ذهب عنه ما يجد) ، فقالوا له : إنَّ النبي **e** قال : (تعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فقال : وهل بي من جنون (٢) .

ومثل ذلك لما يذكر بعض الناس: صلِّ على رسول الله **e** ؟ فيقول لك: لا أصلي على رسول الله ! عليه الصلاة والسلام ، أو يُقال له : اتق الله .

(١) رواه البخاري (٣٣٠٣) ، ومسلم (٢٧٢٩) .

(٢) رواه البخاري (٦٠٤٨) ، ومسلم (٢٦١٠) .

فيقول أنا متقٍ الله U من قبل أن أعرفك !! . ومثل هذه الكلمات إنما تدل على أن الإنسان عندما يغضب قد يفقد عقله ، وقد يفقد دينه والعياذ بالله U ، فعلى من شعر بذلك أن يلجأ إلى الله ، وأن يستعيد بحمى الله ، وأن يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . فإن في هذه الكلمات بإذن الله U علاجاً وشفاءً من هذا الداء .

فهذه أدوية ، وهذه وصفات من صيدلية النبي محمد e ، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، حريٌّ بنا أن نحفظها ، وأن نُعلِّمها أبناءنا .

#

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بها :

هي مفتاح القرآن، وأوّل ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ، وأوّل ما أمر الله به جبريل أن يُقرأه رسول الله ﷺ ، وأوّل ما قرأ به محمد ﷺ حين نزل عليه قول الحقّ تبارك وتعالى : { أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ } أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ... }^(١) . فكان أول أمر يتزل على صدر النبي ﷺ وقلبه وعقله .

ومعنى بسم الله أي : أبدأ قراءتي باسم الله ، أو : باسم الله أبدأ قراءتي ، والبدأُ بها للتبرك .

والحكمة في تأخرها عن الاستعاذة : تقدّم التخلية على التحلية ؛ فيخلى القلب والعقل عن الشيطان الرجيم ، ويُطهّر النفس من وساوس الشيطان ، ثم يذكر الله تبارك وتعالى .

واتفق العلماء على أن { بسم الله الرحمن الرحيم } جزء آية من سورة النمل ، في قول الله ﷻ : { إِنَّمَا مِنْ سُلَيْمَانَ وَآلِهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }^(٢) .

واتفقوا على عدم قراءتها في أول سورة التوبة ؛ سورة براءة ، لأنها نزلت بالسيف ، ولأنها نزلت بالإذن والأمر من الله تبارك وتعالى للنبي عليه الصلاة

(١) العلق : ١-٤ .

(٢) النمل : ٣٠ .

والسلام بقتال المشركين كافة ، وإخراجهم من جزيرة العرب ، فلذلك لم يتناسب أن يبدأ بها بالبسملة { بسم الله الرحمن الرحيم } ، وكلها رحمة وكلها ترحمٌ ؛ وأولئك الكفار المعاندون لا تليق بهم الرحمة ولا الترحم .
واختلف الفقهاء والعلماء هل هي آية من كل سورة أم أنها نزلت للفصل بين السور ؟ .

فقد جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه ما كان يعلم نهاية السورة حتى تترل عليه { بسم الله الرحمن الرحيم } فيعرف أن السورة قد انتهت ، وأن السورة التي تليها قد ابتدأت ، فلذلك اختلف العلماء هل هي آية من كل سورة ؟ أو أنها نزلت للتبرُّك وللفضل بين السور ؟! واختلفوا أيضاً : هل هي آية من سورة الفاتحة ؟ .

وأكثر العلماء على أنها آية من كل سورة ، إلا سورة براءة كما ذكرنا ، كما حكى ذلك الإمام النووي رحمه الله تبارك وتعالى فقد ذكر أن أكثر العلماء على أن { بسم الله الرحمن الرحيم } هي آية من الفاتحة ، ومن كل سورة سوى براءة (١) .

ثم اختلفوا: هل يجهر عند قراءة الفاتحة في الصلاة بقراءة البسملة أم يسرُّ بها ؟ بناءً على اختلافهم على أنها آية من سورة الفاتحة أو ليست بآية ، والصحيح أنه يجوز الجهر بها ويجوز الإسرار بها ، لأنه ثبت عن النبي ﷺ هذا ، وثبت ذلك ، والأرجح عند علمائنا أن الإسرار بها أصح والله تبارك وتعالى أعلم وأجل .

(١) التبيان ص (٨٠) ط . مكتبة المؤيد .

من فضائل البسمة :

جاء في فضلها ما رواه ابن مردويه من حديث يزيد بن خالد ، عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن الرسول e قال : (أنزلت عليّ آيةٌ لم تنزل على نبي غير سليمان بن داود وغيري وهي : { بسم الله الرحمن الرحيم })^(١) . وبهذا الحديث استدل من قال إنها آية من كل سورة .

وعن جابر بن عبد الله t قال : (لما نزل { بسم الله الرحمن الرحيم } هرب اليم^(٢) إلى المشرق ، وسكنت الريح ، وهاج البحر ، وأصغت البهائم بأذانها ، ورُجمت الشياطين من السماء ، وحلف الله تعالى بعزته وجلاله لا يُسمى اسمه على شيءٍ إلا بارك فيه)^(٣) .

وعن ابن مسعود t قال : (من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر، فليقرأ : { بسم الله الرحمن الرحيم } ليجعل الله له من كلِّ حرفٍ منها جنةً من كل واحد)^(٤) . لأن عدد حروفها تسعة عشر حرفاً .

(١) ابن كثير (١ : ١٤٤) .

(٢) هكذا في تفسير ابن كثير .

(٣) ابن كثير (١ : ١٤٤) .

(٤) المصدر السابق .

ومما جاء في بركتها :

١- عن أبي هريرة **t** عن النبي **e** أنه قال : (كُلُّ كَلَامٍ أَوْ كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللَّهِ ، فَهُوَ أَتْرُ) أَوْ قَالَ : (أَقْطَعُ) ^(١) .

فعلى المسلم أن تكون هذه الكلمات في بداية كل أمره وشئونه ، في أعماله الدينية والدينية ، إذا أراد أن يشرع فيها فليبدأها بسم الله الرحمن الرحيم ، وإذا شرع عملاً من أعمال الدنيا أو الدين فيسمل فيه ، فلا ينبغي له أن يقول { بسم الله } في أول الأمر ، ثم يخالف بعد ذلك أمر الله ، بل يتعظ ويتذكر أنه بدأ بسم الله تبارك وتعالى ، فينبغي أن يكون ذلك العمل الذي بدأه بسم الله **U** موافقاً لإرادة الله **U** ، موافقاً لشرع الله ، فلذلك إذا بدأ المسلم أي مناسبة من المناسبات العظيمة التي يهتم بها ؛ زواج ابنه أو ابنته مثلاً ، فإن قال : { بسم الله الرحمن الرحيم } ، فليجعل الزواج على سنة رسول الله **e** ، وعلى شرع الله ، على ما يجب ربنا تبارك وتعالى ويرضى .

وذلك لأن العمل إما أن يكون { بسم الله } ، وعلى شرع الله ، أو بسم الشيطان والعياذ بالله **U** ، وعلى منهج الشيطان .
فإذا كان { بسم الله } ، بارك الله **U** فيه ، ووفق الزوجين ، ورزقهما الذرية الصالحة ، وجمع بينهما في خير ، وألّف بين قلوبهما .

(١) مسند الإمام أحمد (٢ : ٣٥٩) ، وقال محققو المسند (٨٧١٢) : إسناده ضعيف .

وإن كان على اسم الشيطان ؛ والمصاريف الزائدة ، والتكاليف والطمع ،
والمعاصي والمنكرات ؛ فلا توفيق ، ولا بركة ، ولا حياة سعيدة... إلخ .
إذا فلتنق الله **U** ، ولنجعل كل شئونا بسم الله تبارك وتعالى ، من
ابتدائها إلى نهايتها .

٢- وعن أنس **t** قال : قال رسول الله **e** : (إذا خرج الرجل من
بيته فقال : (بسم الله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ،
يقال له : حَسْبُكَ هُدَيْتَ وَكُفَيْتَ وَوُقِيْتَ ، وتنحى عنه الشيطان) ^(١) .
كلماتٌ يسيرة لها كل هذا الفضل ؛ لكن : قلَّ من يتذكرها ، ويحفظها ،
ويردّها !! .

٣- وعن عثمان بن عفان **t** قال : قال رسول الله **e** : (ما من عبدٍ
يقول في صباح كلِّ يومٍ ومساء كلِّ ليلة : بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه
شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، ثلاث مرات فيضُرُّه
شيءٌ) ^(٢) .

(١) رواه الترمذي (٣٤٢٦) وقال : حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .
والنسائي (٨٩) في عمل اليوم والليلة ، وابن حبان (٨٢٢) .
(٢) رواه الترمذي (٣٣٨٥) وقال حديث حسن صحيح ، وأبو داود (٥٠٨٨) ،
والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٥) ، وابن ماجه (٣٨٦٩) ، والحاكم
(٥١٤/١) وقال : صحيح الإسناد .

ضمان من النبي عليه الصلاة والسلام ، هنا تأمينات ربانية يعطيك الله U إيَّها ، لا تدفع فيها أموالاً ، ولا تتعب ولا تشقى ، وإنما فقط تتلفظ بهذه الكلمات ، فهو تأمينٌ ، وتأمينٌ عظيم من الله تبارك وتعالى .

٤- وعن أبي هريرة **t** أن رسول الله **e** قال : (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليأخذ داخلَةَ إزاره — أي: طرفه — فلينفذ بها فراشه ، وليُسمِّ الله فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه ، فإذا أراد أن يضطجع فليضطجع على شِقِّه الأيمن وليقل: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادة الصالحين) (١) .

٥- وعن عائشة رضي الله عنها : أن النبي **e** كان إذا اشتكى الإنسان الشيءَ منه أو كانت قَرْحَةً أو جَرْحٌ قال النبي **e** بإصبعه هكذا ، ووضع سفيان بن عيينة الراوي سبابته بالأرض ثم رفعها وقال : (بسم الله . تُرَبُّهُ أرضنا ، بريقة بعضنا ، يُشْفَى به سقيمنا ياذن ربنا) (٢) .

٦- وعن عثمان بن أبي العاص **t** أنه شكَا إلى رسول الله **e** وجعاً يجده في جسده ، فقال له رسول الله **e** : ضع يدك على الذي تألم من جسديك وقل : (بسم الله) ثلاثاً ، وقل سبع مرات : (أعوذ بالله وقدرته

(١) رواه البخاري (٣٦٢٠) ، ومسلم (٢٧١٤) .

(٢) رواه البخاري (٥٧٤٥) ، ومسلم (٢١٩٤) .

من شرِّ ما أجد وأحاذر) (١) - وجاء في رواية : ففعلت ذلك ، فأذهب الله ما كان بي ، فلم أزل أمر بها أهلي وغيرهم (٢).

٧- ويستحبُّ أن يقول عند استلام الحجر الأسود وعند ابتداء الطواف :
(بسم الله والله أكبر ، اللهم إيماناً بك ، وتصديقاً بكتابك ، ووفاءً بعهدك ، واتباعاً لسنة نبيك e) (٣).

٨- وعن أبي سعيد t أن جبريل أتى النبي e فقال : يا محمد ، اشتكيت ؟ قال : نعم . قال : (بسم الله أرقيك ، من كلِّ شيء يؤذيك ، ومن شرِّ كلِّ نفسٍ أو عين حاسدٍ الله يشفيك ، باسم الله أرقيك) (٤) .
فهذه هي رقية جبريل علي السلام لبينا e ، وابتدأها باسم الله ، واختتمها باسم الله .

(١) رواه مسلم (٢٢٠٢) واللفظ له ، وأبو داود (٣٨٩١) والترمذي (٢٠٨٠)
وعندهما : (أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر) .

(٢) رواها مالك في الموطأ (٩٤٢/٢) .

(٣) روي هذا الذكر عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول إذا استلم الحجر :
" اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك وسنة نبيك ثم يصلي على النبي e " . مجمع

الزوائد (٢٤٠/٣) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

(٤) رواه مسلم (٢١٨٦) .

٩- وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي e كان إذا وضع الميت في القبر قال : (بسم الله وبالله وعلى سنة رسوله e) (١) .

١٠- وعن حذيفة t قال : كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ e طَعَامًا ، لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسولُ الله e فيضع يده - وهذا من الأدب ؛ من الأدب أن لا يبدأ أحد بتناول الطعام حتى يبدأ كبير القوم ، أو أعلمهم ، أو أفضلهم ، وهكذا ينبغي أن نكون متأديين - ، وإنا حضرنا معه مرةً طعاماً ، فجاءت جارياً كأنها تُدفع ، فذهبت لتضع يدها في الطعام ، فأخذ رسول الله e بيدها ، ثم جاء أعرابيٌّ كأنما يُدفع ، فأخذ النبي e بيده ، فقال رسول الله e : (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذَكَّرَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، — أي : يستبيحه ويصبح له حلالاً عند عدم ذكر الله تعالى — وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها ، فأخذت بيدها ، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده ، والذي نفسي بيده ، إنَّ يده في يدي مع يدها ، ثم ذكر اسم الله تعالى وأكل) (٢) .

فما أكثر الذين لا يُسمُّون الله عند طعامهم وشراهم؟! فيشركون معهم بذلك الشيطان!!، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١) رواه الترمذي (١٤٠٦) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. ورواه الحاكم (١٣٩٤)، وابن ماجه (١٥٥٠)، وهو عند الطبراني في الأوسط (٨٣٣٦) .

(٢) رواه مسلم (٢٠١٧) .

١١ - وعن أمية بن مَحْشِيٍّ **t** قال: كان رسول الله **e** جالساً ورجلٌ يأكل ، فلم يسمّ حتى لم يبق من طعامه إلا لقمةٌ ، فلما رفعها إلى فيه قال : بسم الله أوله وآخره . فضحك النبي **e** ثم قال : (مازال الشيطان يأكل معه فلما ذكر اسم الله استقاء ما في بطنه)^(١) .

١٢ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي **e** : (لو أنّ أحدكم إذا أتى أهله قال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان مارزقتنا فقضي بينهما ولدٌ لم يضره شيطان أبداً)^(٢) . وهذا بركة هذه البسمة .

١٣ - وعن أبي المليح عن رجل قال : كنت رديف رسول الله **e** فعثرت دابته ، فقلت : تعس الشيطان ، فقال **e** : (لا تقل : تعس الشيطان ؛ إذا قلت ذلك تعظم حتى يكون مثل البيت ويقول : بقوتي - لأنه استطاع أن يغيظ هذا الإنسان ويغضبه ، وهذا ما يريده الشيطان !! - ولكن قل : { بسم الله } ، فإنك إذا قلت ذلك تصغر حتى يكون مثل الذباب)^(٣) .

(١) رواه أبو داود (٣٧٦٨) ، والنسائي (٢٨٢) في عمل اليوم والليلة ، والحاكم (١٠٨ / ٤) وقال : صحيح الإسناد .

(٢) رواه البخاري (٧٣٩٦) ، ومسلم (١٤٣٤) .

(٣) رواه أبو داود (٤٩٨٢) ، والنسائي (٤٨١٧) ، والحاكم (٢٩٢ / ٤) وقال : صحيح الإسناد .

#

الله جل جلاله

الاسم الخاص به سبحانه :

الله جل جلاله ، وعمّ نواله ، وتعالى جدّه ، وجل ثناؤه ، وتقدّست
أسماءه ولا إله غيره ؛ فلفظ الجلالة " الله " : عَلَّمَ على الربّ تبارك وتعالى ،
وهو الاسم المفرد العلم لذاته القدسية ، الجامع لجميع الصفات الإلهية ، ولا
يُسَمَّى أحدٌ من خلقه باسم { الله } لا حقيقةً ولا مجازاً ، بخلاف غيره من
الأسماء ، فإنه يجوز الوصف بها ، فتقول : عالمٌ وقادر . وقد ورد ذكره في
القرآن الكريم (١٦٩٧) مرة .

معناه واشتقاقه :

نقل الحافظ ابن كثير في تفسيره^(١) عن العلماء أقولاً في معناه واشتقاقه ،
منها :

قال القرطبي^(٢) : قيل : هو مشتق من وله ، إذا تحيّر . والوله : ذهاب
العقل ... فالله تعالى سبحانه تحيّر الألباب وتذهب في حقائق صفاته
والفكر في معرفته ، فعلى هذا أصل " إلاه " : " ولاه " وأنّ الهمزة مبدلة
من واو .

(١) (١ / ١٤٧ - ١٤٩) وهو هنا يتصرف منه .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١ / ٧٢) ط . دار الكتب العلمية .

وقال الرازي : وقيل : إنه مشتق من "ألّهتُ إلى فلان" أي : سكنت إليه فالعقول لا تسكن إلا لذكر الله ، والأرواح لا تعرج ^(١) إلا بمعرفته ، لأنه الكامل على الإطلاق دون غيره قال الله تعالى : { الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } ^(٢) .

قال : وقيل : من لاه يلوه ، إذا احتجب .

وقيل : اشتقاقه من أله الفصيل إذا أولع بأمه .

والمعنى : أن العباد مولهون مولعون بالتضرُّع إليه في كلِّ الأحوال .

قال : وقيل : مشتق من أله الرجل يأله : إذا فرع من أمرٍ نزل به فألهه ، أي : أجاره ، فالمجير لجميع الخلائق من كلِّ المضار هو الله سبحانه وتعالى ، لقوله **U** : { وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ } ^(٣) .

وقيل : إنه مشتق من الارتفاع ، فكانت العرب تقول لكلِّ شيءٍ مرتفع : لاهاً ، وكانوا يقولون إذا طلعت الشمس : لاهت .

وقيل : إنه مشتق من أله الرجل : إذا تعبد وتأله إذا تنسَّك ... وأصل ذلك الإله ، فحذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة ، فالتقت اللامان ، فصارت في اللفظ لاهاً واحدةً مشدّدةً ، وفُحِّمَت تعظيماً ، فقيل { الله } .

(١) كذا في تفسير الرازي (١٣٤/١) ط . دار الكتب العلمية ، ولعله تصحيف من "تفرح" ، أو أن يكون المراد : لا تعرج إلى الكمالات والمعالي إلا بمعرفته ، والله أعلم .

(٢) الرعد : ٢٨ .

(٣) المؤمنون : ٨٨ .

وقال جماعة من العلماء : بل اسم جامد غير مشتق " لأنه اسم لم يُسَمَّ الله تبارك وتعالى به غيره " .

وقال الحافظ ابن كثير : يقال : إنه الاسم الأعظم ؛ لأنه يوصف بجميع الصفات ، كما قال الله تعالى : { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } (١) فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له ، كما قال الله تعالى : { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا } ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة **t** قال : قال رسول الله **e** : " إن لله تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة " (٢) .

أسماء الله الحسنى في القرآن :

وقد جمعها الحافظ ابن حجر - رحمه الله - من القرآن الكريم ، وهي :

الله - الرحمن - الرحيم - الملك - القدوس - السلام - المؤمن - المهيمن - العزيز - الجبار - المتكبر - الخالق - الباري - المصور - الغفار - القهار - التواب - الوهاب - الخلاق - الرزاق - الفتاح - العليم - الحليم - العظيم - الواسع - الحكيم - الحي - القيوم - السميع - البصير - اللطيف - الخبير - العلي - الكبير - المحيط - القدير - المولى - النصير - الكريم - الرقيب - القريب - المجيب - الوكيل - الحسيب - الحفيظ - المقيت - الودود - المجيد - الوارث - الشهيد - الولي -

(١) الحشر : ٢٢ .

(٢) رواه البخاري (٢٧٣٦ ، ٦٤١٠ ، ٧٣٩٢) ، ومسلم (٢٦٧٧) .

الحميد - الحق - المبين - القوي - المتين - الغني - المالك - الشديد -
القادر - المقتدر - القاهر - الكافي - الشاكر - المستعان - الفاطر -
البديع - الغافر - الأول - الآخر - الظاهر - الباطن - الكفيل - الغالب -
الحكم - العالم - الرفيع - الحافظ - المنتقم - القائم - المحيي - الجامع -
المليك - المتعالي - النور - الهادي - الغفور - الشكور - العفو -
الرؤوف - الأكرم - الأعلى - البر - الحفي - الرب - الإله - الواحد -
الأحد - الصمد - الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (١) .

اسم الله الأعظم :

عن أبي أمامة **t** - يرفعه إلى النبي **e** - قال :

(اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب في ثلاث سورٍ من القرآن في
البقرة ، وآل عمران ، وطه) (٢) .

في سورة البقرة : { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } (٣) .

وفي سورة آل عمران : { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } (٤) .

وفي سورة طه : { وَعَنْتَ الْوَجْوهَ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ } (١) .

(١) " فتح الباري " : (٢٢٢ / ١١ ، ٢٢٣) .

(٢) رواه أحمد (٤٦١ / ٦) رقم (٢٧٦١١) وقال محققو المسند : إسناده ضعيف .

والحديث رواه الطبراني في الأوسط (٨٣٧١) ، وهو عند الحاكم (٥٠٦ / ١) ،

وابن ماجه (٣٨٥٦) .

(٣) البقرة : ٢٥٥ .

(٤) آل عمران : ٢ .

وعن سعد بن أبي وقاص **t** قال: قال رسول الله **e** : (دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت : { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ })^(٢) إنه لم يدعُ بها مُسلمٌ في شيءٍ قطُّ إلا استجاب الله له بها (٣).

قال بعض العلماء : والذي يظهر من المقارنة بين النصوص التي ورد فيها اسم الله الأعظم أنه " الله " فهذا هو الاسم الوحيد الذي يوجد في جميع النصوص التي قالها رسول الله **e** ، والله تعالى أعلم .

وعن السَّرِيِّ بن يَحْيَى عن رجلٍ من طَبِئِيٍّ - وأثنى عليه خيراً - قال : كنت أسأل الله **U** أن يريني الاسم الذي إذا دُعِيَ به أجاب ، فرأيتُ مكتوباً في الكواكبِ في السماء : يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام (٤) .

(١) طه : ١١١ .

(٢) الأنبياء : ٨٧ .

(٣) رواه الحاكم (١٩٠٥) واللفظ له ؛ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ١. هـ . ورواه أحمد مطوّلاً (١٤٦٢) وقال محققو المسند : إسناده حسن ، ورواه الترمذي كذلك مختصراً (٣٥٠٥) .

(٤) ذكره الحافظ المنذري في الترغيب في كتاب " الذكر والدعاء " (٢٤٤٥) وقال : رواه أبو يعلى ، ورواته ثقات .

وعن ابن عباس وأبي الدرداء رضي الله عنهما قالا : اسم الله الأكبر ربّ ربّ.

وروى ابن أبي حاتم بسنده إلى عثمان بن عفان **t** أنه سأل رسول الله **e** عن (بسم الله الرحمن الرحيم) ؟ فقال **e** : (هو اسم من أسماء الله ، وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العينين وبياضهما من القرب) (١) .

وعن بريدة **t** أن الرسول **e** سمع رجلاً يقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله ، لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد . فقال : (والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى) (٢) .

وعن أبي سعيد الخدري **t** قال : مرّ رسول الله **e** بأبي عيشة زيد بن الصامت الزُّرْقِيّ ، وهو يصلي ويقول : " اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت ، يا حنان يا منان ، يا بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال

(١) ابن كثير (١ : ١٤٤) .

(٢) رواه الترمذي (٣٤٧٥) وقال : حديث حسن غريب ، وأبو داود (١٤٩٣) ، وأحمد (٣٦٠/٥) ، وابن ماجه (٣٨٥٧) وقال محققو المسند (٢٣٠٤١) : إسناده صحيح .

والإكرام " فقال رسول الله ﷺ : (لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا
دعي به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى) (١) .

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ قال : (اسم الله
الأعظم في هاتين الآيتين : { وَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } (٢) ،
وفاتحة سورة آل عمران : { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } (٣) (٤) .

اللهم إنا نسألك بآتنا نشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد
الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

اللهم إنا نسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت يا حنان ، يا منان يا بديع
السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا رب يا رب ، يا حي يا
قيوم ، لا إله إلا أنت الرحمن الرحيم أن ترزقنا العلم النافع والعمل الصالح ،
وأن تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ، وأن تجعل هذه الدنيا في أيدينا ولا

(١) رواه الإمام أحمد (٣٤٩/٥ ، ٣٦٠) واللفظ له ، وابن ماجه (٣٨٥٨) ، وأبو
داود (١٤٩٥) ، والنسائي (المحتبى ٥٢/٣) ، وابن حبان في صحيحه (١٩٠) ،
والحاكم (٥٠٤/١) وزاد هؤلاء " يا حيُّ يا قيوم " ، وقال الحاكم : صحيح على
شرط مسلم .

(٢) البقرة : ١٦٣ .

(٣) آل عمران : ٢ .

(٤) رواه الترمذي (٣٤٧٨) وقال : حديث حسن صحيح . وأبو داود (١٤٩٦) ،
وابن ماجه (٣٨٥٥) .

تجعلها في قلوبنا ، وأن تُحسن ختامنا ، وتغفر ذنوبنا ، وتستر عيوبنا ،
وتحقق آمالنا ... اللهم آمين . آمين .

#

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

معنى الحمد :

قال الحافظ ابن كثير :

الحمد هو الثناء - بالقول - على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية ،
والشكر - بالحنان واللسان والأركان - على المحمود بصفاته المتعدية فقط .
أ . هـ . (١) بتصرف .

فالحمد هو الثناء على الله باللسان ، وأما الشكر : فيكون بالقلب
واللسان والجوارح ؛ فالشاكر لله تبارك وتعالى قد يكون شكره بقلبه اعترافاً
وإيماناً وثقةً وتصديقاً ، وقد يكون شكره بلسانه، وقد يكون بعمله كما
قال U : { اَعْمَلُواْ آلَ دَاوُدَ شُكْرًا } (٢) فالصلاة شكر ، والصدقة شكر ،
وصللة الأرحام وبر الوالدين وكل الأعمال والقربات التي يتقرب بها المسلم
إلى ربه هي في الحقيقة شكر لله تبارك وتعالى على نعمه وآلائه، أما الحمدُ
فهو الثناء باللسان على الله تبارك وتعالى .

ونقل ابن كثير عن ابن جرير الطبري قوله :

(الحمد لله) : ثناءٌ أُثني به على نفسه ، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا
عليه فكأنه قال : قولوا : الحمد لله (٣) .

(١) تفسير ابن كثير (١/١٥٢) .

(٢) سبأ: ١٣ .

(٣) تفسير ابن كثير (١/١٥٢) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة **t** عن النبي **e** قال : قال الله **U** : (قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبي ما سأل ، وإذا قال العبد : (الحمد لله رب العالمين) . قال الله : حمدني عبدي...) الحديث (١) .
وعن علي بن أبي طالب **t** لما سُئِلَ عن الحمد قال : كلمة أحبها الله تعالى لنفسه ورضيها لنفسه وأحب أن تقال .

وقال شقيق بن إبراهيم في تفسير الحمد : قال : هو على ثلاثة أوجه : أولها : إذا أعطاك الله شيئاً تعرف من أعطاك ، والثاني : أن ترضى بما أعطاك ، والثالث : ما دامت قوة في جسدك ألا تعصيه ، فهذه شرائط الحمد . والألف واللام في الحمد لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى ، كما جاء في الحديث : (اللهم لك الحمد كله ، ولك الملك كله ، وبيدك الخير كله ، وإليك يرجع الأمر كله) (٢) .

وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري **t** أن النبي **e** قال : (الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض...) الحديث (٣) ، والميزان كما هو معروف

(١) رواه مسلم (٥٥٤) في كتاب المسافرين .

(٢) رواه الإمام أحمد (٢٣٣٥٥) وقال محققو المسند : إسناده ضعيف . ا.هـ . ، وانظر " تفسير ابن كثير " (١٥٤/١) .

(٣) رواه مسلم (٢٢٣) ، والترمذي (٣٥١٧) ، وابن ماجه (٢٨٠) ، والنسائي (٥/٥) مع اختلاف يسير في اللفظ .

سعته سعة السموات والأرض ، فهذه الكلمة المباركة " الحمد لله " إذا قلتها لله تعالى ، ملاً ثوابها وأجرها ما بين السماء والأرض .
وعن جابر **t** عن النبي **e** قال : (أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله) (١) .

مدلول اسم " رب " :

والرب هو المالك المتصرف ، ويطلق في اللغة على السيد ، وعلى المتصرف للإصلاح ، وكل ذلك صحيح .
وقيل : (رب) اسمٌ من أسماء الله تعالى ، وقيل : هو الاسم الأعظم .

معنى " العالمين " :

والعالمين : جمع عالم ، وهو كل موجود سوى الله **U** ؛ فكل موجود سوى الله جل وعلا يُسمَّى عَالَم .
والعوالم : أصناف المخلوقات في السموات ، وفي البر والبحر ، فكلها عوالم ، وكلُّ قرنٍ منها وجيلٌ يسمى عالماً ؛ فما أكثر هذه العوالم التي خلقها الله تبارك وتعالى .

فقوله جل وعلا : { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } كلماتٌ موجزةٌ قصيرة ، لكن معانيها شاملة وواسعة وضخمة وهائلة ؛ فالحمد : يشمل كل

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٠٠) ، وابن حبان (٨٤٣) ، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (٣٨١) ، والحاكم (٤٩٨ / ١) وقال : صحيح الإسناد .

أنواع الحمد لله تعالى، والرب: هو المالك المتصرف سبحانه في جميع خلقه،
والعالمين: كل خلق سوى الله تعالى.

ورود الحمد في أوائل بعض السور:

- واستفتح بها خمس سور من القرآن العظيم:
- أولها: الفاتحة { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } ، وسُمِّيت بسورة الحمد .
- ثانيها: الأنعام { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ... } .
- ثالثها: الكهف { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ } .
- رابعها: سبأ { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي
الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } .
- خامسها: فاطر { الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ } .

السور التي اختتمت بالحمد:

- وختم بها سورة الصفات في قوله تبارك وتعالى: { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ
عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (١) .
- وسورة الزمر: { وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (٢) .

مواضع أخرى للحمد:

(١) الصفات: ١٨٢ .

(٢) الزمر: ٧٥ .

والحمدُ آخر دعاء أهل الجنة ، كما قال تعالى : { دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا مِنْهَا دَعْوَانَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (١) .

قال بعض المفسرين إذا اشتهى المسلم في الجنة الطعام فإنه يقول هذا الدعاء { سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ } فإذا قال { سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ } أوجد الله له سبحانه وتعالى ذلك الطعام ، فإذا انتهى من ذلك الطعام قال : { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } ، وقد علمنا رسولنا عليه الصلاة والسلام أن نحمد الله تبارك وتعالى على الطعام في الدنيا .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (أول من يُدعى إلى الجنة الذين يحمدون الله في السراء والضراء) (٢) .

أول من يدعون ويدخلون الجنة عرضها السماوات والأرض ، الذين كانوا يقولون هذه الكلمة في السراء والضراء ، إن جاءتهم النعم والخيرات لا ييطروا ولا يتكبروا ولا يتجبروا ، وإنما يقولون : الحمد لله ، اعترفاً منهم أن هذه النعم ما جاءتهم من عند أنفسهم ؛ لا بذكائهم ، ولا بقدرتهم ، ولا بإرادتهم ، وإنما جاءتهم بفضل من الله تبارك وتعالى وكرم ، فهذا اعترافٌ بضعفهم ، واعتراف بفضل الله U عليهم في السراء .

(١) يونس : ١٠ .

(٢) رواه الحاكم (٥٠٢/١) وقال : صحيح على شرط مسلم ، وقال الحافظ المنذري في الترغيب (٢٣٢٤) : رواه ابن أبي الدنيا ، والبخاري ، والطبراني في الثلاثة بأسانيد أحدها حسن .

وكذلك في الضراء ؛ يقول المسلم : الحمد لله رب العالمين ، فلا يتضجر ، ولا يجزع ، ولا يسخط ، بل عليه أن يصبر ويحتسب ، ويقول : الحمد لله رب العالمين ، لأن الله تبارك وتعالى كتب عليه ذلك ، فما عليه إلا أن يرضى بما كتب الله U وقسم .

فضل الحمد ، وبعض صيغته :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله e يقول :
(أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله) (١) .
ونقل الإمام ابن كثير رحمه الله عن الإمام القرطبي أنه قال : (في نوادر الأصول عن أنسٍ t ، عن النبي e أنه قال : (لو أن الدنيا بحذافيرها في يد رجل من أمتي ثم قال : الحمد لله لكان الحمد أفضل من ذلك) (٢) .
قال الإمام القرطبي رحمه الله : أي لكان إلهامه الحمد أكبر نعمة عليه من النعم الدنيا ، لأن ثواب الحمد لا يفنى ، ونعيم الدنيا لا يبقى . اهـ .
وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله e حدّثهم : (أنَّ عبداً من عباد الله تعالى قال : " يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال

(١) رواه الترمذي (٣٣٨٣) ، وابن ماجه (٣٨٠٠) ، والنسائي في " عمل اليوم والليلة " (٣٨١) ، وابن حبان في صحيحه (٨٤٦) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن . اهـ . ورواه الحاكم (٥٠٣/١) وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .

(٢) ابن كثير (١ : ١٥٤) ، وتفسير القرطبي (١ / ١٣١) .

وجهك ولعظيم سلطانتك " فَعَضَّتْ ^(١) بالملكين ، فلم يدريا كيف يكتبانها، فصعدا إلى السماء فقالا : يا ربنا إنَّ عبدك قد قال مقالةً لا ندري كيف نكتبها ؟ قال الله - وهو أعلم بما قال عبده - : ماذا قال عبدي ؟ قالا : يارب إنه قال : يا ربُّ لك الحمدُ كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانتك. فقال الله لهما : اكتبها كما قال عبدي حتى يلتقاني ، فأجزيه بها) ^(٢) .

وعن رفاعة بن رافع الزرقي قال : كنا يوماً نصلي وراء النبي e فلما رفع النبيُّ e رأسه من الركعة وقال : " سمع الله لمن حمده " . فقال رجل من وراءه : ربنا ولك الحمد حمداً طيباً مباركاً فيه . فلما انصرف قال e : (من المتكلم ؟) قال : أنا . قال e : (رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يتدرونها ، أيهم يكتبها أول) ^(٣) .

بعضُ الأحوال التي تذكر فيها (الحمد لله) :

- (١) عَضَّتْ بالملكين ، أي : اشتدت عليهما ، وعظمت ، واستغلق عليهما معناها .
(٢) رواه ابن ماجه (٣٨٠١) ، وقال في " الزوائد " : في إسناده قدامة بن إبراهيم ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وصدقة بن بشير لم أر من جرحه ولا من وثقه . هـ .
وقال المنذري في " الترغيب " (٢٣٣٣) : رواه أحمد وابن ماجه ، وإسناده متصل ، ورواته ثقات ، إلا أنه لا يحضرنى الآن في صدقة بن بشير مولى العميرين جرح ولا عدالة . هـ .
(٣) رواه البخاري (٧٩٩) .

١ - عند الاستيقاظ من النوم :

عن أبي ذر **t** قال : كان النبي **e** إذا أخذ مضجعه من الليل قال :
(اللهم باسمك أموت وأحيا) فإذا استيقظ من النوم قال : " الحمد لله الذي
أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور " (١) .

فأرواح العباد يقبضها الله تبارك وتعالى بالنوم ويرسلها بالاستيقاظ ، فأما
التي قضى عليها الموت فلا يردها إلى جسدها ، وأما التي كتب الله تبارك
وتعالى لها البقاء فيردها عليه ، فنحن في كل يومٍ وليلة تفارق أرواحنا
أجسادنا ، وفي ذلك عبرةٌ وأي عبرة ، فعلمنا النبي **e** أن نحمد الله تعالى ،
أن ردَّ إلينا أرواحنا ، وأمدَّ في عمرنا حتى نعبده ونطيعه .

٢ - عند الخروج من الخلاء :

ويقول عند الخروج من الخلاء : " غفرانك ، الحمد لله الذي أذهب
عني الأذى وعافاني " .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسولُ الله **e** إذا خرج من
الغائطِ قال : (غفرانك) (٢) .

وعن أنس بن مالك **t** قال : كان رسولُ الله إذا خرج من الخلاءِ قال :
(الحمد لله الذي أذهبَ عني الأذى وعافاني) (٣) .

(١) رواه البخاري (٦٣٢٥) .

(٢) رواه أبو داود (٣١) ، والترمذي (٧) ، وابن ماجه (٣٠٠) ، وقال الترمذي :
حديث حسن غريب .

(٣) رواه ابن ماجه (٣٠١) .

٣ - عند افتتاح الصلاة :

عن فضالة بن عبيد قال : سمع النبي **e** رجلاً يدعو في صلاته فلم يصل على النبي **e** ، فقال النبي **e** : " عجل هذا " ، ثم دعاه فقال له ولغيره : (إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ، ثم ليصل على النبي **e** ، ثم ليدع بما شاء)^(١).

ولذلك لما تكون الشفاعة العظمى يوم القيامة ، لما يقف الخلائق في عرصات يوم القيامة ، في أرض المحشر ، خمسين ألف سنة ، وهم قيام في تعبٍ ومشقة ، ثم يطلبون من الأنبياء واحداً بعد الآخر ، وكل واحدٍ منهم يقول : نفسي نفسي ، ويردُّهم إلى غيره ، حتى يأتوا إلى النبي محمد **e** ، فيذهب عليه الصلاة والسلام فيسجد تحت العرش ، ويلهمه الله تبارك وتعالى من التحميدات ، ومن التسبيحات ، ومن الثناء ما يلهمه **U** ، فيكون ذلك الثناء وذلك الدعاء العظيم الذي فيه الحمد لله تبارك وتعالى ، سبباً لكشف الكربات عن الناس أجمعين في ذلك الموقف الرهيب العظيم .

٤ - عند الطعام :

عن أنس بن مالك **t** قال : قال رسول الله **e** : (إِنَّ اللَّهَ لِيرِضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فِيحْمَدُهُ عَلَيْهَا ، وَيَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فِيحْمَدُهُ عَلَيْهَا)^(٢).

(١) رواه الترمذي (٣٤٧٣ ، ٣٤٧٥) ، وأبو داود (١٤٨١) وقال الترمذي : هذا

حديث حسن صحيح .

(٢) رواه مسلم (٢٧٣٤) .

يرضى سبحانه وتعالى عن عبده لأنه تذكّر ؛ لأنك إذا تذكّرت الله U على طعامك وقلت : الحمد لله رب العالمين ، تقولها وأنت تعلم أن ذلك الطعام الذي جاء ، لا يعلم إلا الله U من أيّ بلاد جاء ، وكيف زُرِعَ ، وكيف حُصِدَ ، وكيف صنع ، وكيف جيء به من بلاد بعيدة عبر الطائرات والسفن ، حتى وصل إليك ؛ أفلا تشكر الله U أن ساق لك هذا الرزق من بلاد عديدة ، ومن أيادٍ مختلفة ، ومن أتربةٍ متنوعة ، جاء لك به سبحانه وتعالى من كل مكان ، فلو تَمَعَّنَ كلُّ واحدٍ منا في الطعام الذي بين يديه ، كيف وصل إليه ، وبأي طريقة ، وبأي وسيلة ، لوجد أمراً عجباً ، وكل ذلك من توفيق الله تبارك وتعالى .

وعن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله e قال : (من أكل طعاماً ثم قال : الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيهِ من غير حولٍ مني ولا قوة ، غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه) (١) .

من قال هذا الدعاء غفر له ما تقدم من ذنبه ، نعم غفر الله له ذنبه لأنه اعترف بأنه ضعيف ، وليس هو الذي جاء بهذا الطعام وإنما الله تبارك وتعالى هو الذي ساقه له .

٥ - عند رؤية مبتلى :

(١) رواه أبو داود (٤٠١٩) ، والترمذي (٣٤٥٨) ، وابن ماجه (٣٢٨٥) . وقال الترمذي : حديث حسن غريبٌ .

عن أبي هريرة **t** قال : قال رسول **e** : (من رأى مُبتلىً فقال : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به ، وفضلني على كثيرٍ ممَّن خلق تفضيلاً ، لم يصبه ذلك البلاء) (١) .

وعن عمر **t** أن رسول الله **e** قال : (مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ فَقَالَ : "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا" إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ كَأَنَّ مَا كَانَ ، مَا عَاشَ) (٢) .

تحصين من الله **U** ، ومن سنة نبيه محمد **e** ، وليس كما يفعل بعض من الناس وللأسف الشديد ؛ إذا رأى مبتلاً سخر منه !! .

فإذا أردت أن يعافيك الله من هذا المرض أو هذا البلاء ؛ فليكن على لسانك دائماً وأبداً : (الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً من عباده ، وفضلني على كثيرٍ ممن خلق تفضيلاً) .

وقال العلماء : ينبغي على المسلم إذا قال هذا الدعاء أن يقوله في قلبه ، وفي نفسه ، وألا يرفع صوته أمام المبتلى ، حتى لا يؤذيه ، وحتى لا يجرح مشاعره .

٦ - إذا نظر في المرأة :

(١) رواه الترمذي (٣٤٣٢) وقال : هذا حديث حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه ، وقال : وقد روي عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال : إذا رأى صاحب بلاءٍ يتعوذ ، يقول ذلك في نفسه ، ولا يُسمع صاحبَ البلاء .

(٢) رواه الترمذي (٣٤٣١) وقال : هذا حديث غريب .

عن ابن عباس **t** قال : كان الرسول **e** إذا نظر في المرأة قال : (الحمد لله الذي حسن خلقي وخلقي ، وزان مني ما شان من غيري)^(١) .

ينبغي على المسلم أن يذكر ذلك ، حتى لا يأخذه الغرور بجماله ولا بطوله ، ولا بسلامة وجهه ولا بغير ذلك ، وكل ذلك من عطاء الله ، وكل ذلك من فضل الله ، ومصير هذا الجسد ، وهذا الوجه أن يكون في التراب ، وأن يأكله الدود ، فلن يبقى ولن يدوم ، فعلى ماذا يغتبر المغترون؟! ، فلذلك علّمنا عليه الصلاة والسلام أن نحمد الله ، لأنه من الله وإلى الله ، ولهذا يقول : (الحمد لله الذي حسن خلقي وخلقي ، وزان مني ما شان من غيري) وفي رواية : (اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي) وهكذا يربط النبي عليه الصلاة والسلام بين الخلق والخلق ، فإذا ما كان الإنسان سيئ الخلق ، فنظر في المرأة ووجد أن الله أكرمه بصورة طيبة ، أن يدعو الله **U** أن يُحسن خلقه كما حسن خلقه سبحانه وتعالى .

٧- إذا عطس :

عن أبي هريرة **t** عن النبي **e** قال : (إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله . وليقل له أخوه - أو صاحبه - : يرحمك الله ، فإذا قال له : يرحمك الله ، فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم)^(٢) .

(١) مسند أبي يعلى (٢٦١١) ، المعجم الكبير (١٠٧٦٦) .

(٢) رواه البخاري (٦٢٢٤) .

ما أجمل هذه الآداب ، وهذه الأذكار ، التي تجعل المسلم من أول يومه إلى آخره وهو ذاكراً لله تبارك وتعالى .

وهذا أبونا آدم عليه السلام لما خلقه الله **U** عطس فقال الله له تبارك وتعالى : قل الحمد لله . فكان أول كلمة تلفظ بها الحمد ؛ فعن أبي هريرة **t** قال : قال رسول الله **e** : (لما خلق الله آدمَ عَطَسَ ، فألهمه ربُّه أن قال : الحمد لله ، فقال له ربه : يرحمك الله ، فلذلك سبقت رحمته غضبه)^(١) .

٨ - عند بداية أي عمل :

عن أبي هريرة **t** قال : قال رسول الله **e** : (كلُّ أمرٍ ذي بال لا يبدأ بالحمد لله فهو أقطع)^(٢) . وفي لفظ : (كل أمرٍ ذي بال لا يُبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع) .

فهذه الأدعية وهذه الأذكار فيها من البركات والتوفيق والنجاح ما فيها ، أما من يبدأ أموره العظيمة وغيرها بغير بسم الله ، وبغير الحمد لله **U** ، فليس في عمله ذلك بركة ولا توفيق والعياذ بالله **U** .

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٦١٦٤) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : حديث حسن . وروى ابن حبان مثله كذلك (٦١٦٥) من حديث أنس بن مالك مرفوعاً بإسناد قال عنه الشيخ شعيب : إسناد صحيح على شرط مسلم .

(٢) رواه ابن ماجه (١٨٩٤) ، وابن حبان في صحيحه (١ ، ٢) ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف .

فعلى المسلم أن يحمد الله تبارك وتعالى على كل حال ، فقد كان الصحابة الأجلاء رضوان الله تعالى عليهم إذا التقى الواحد منهم بالآخر سأل صاحبه عن حاله ، وعن حال إخوانه ، وعن حال أهله ، فكانوا يقولون : الحمد لله رب العالمين .

فلنجعل هذه الكلمة على ألسنتنا، ولا نذكرها هكذا فقط من غير تَمَعْنُ، ومن غير تَفَكُّرٍ ؛ لا . بل علينا أن نتفكر فيها ، وأن نقولها ونحن معترفون بأن الفضل كله من الله تبارك وتعالى ، وأنا ينبغي علينا أن نشكره بالصلاة والصدقة والطاعات كلها ، فالحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً .

#

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

اشتقاقهما :

اسمان من أسماء الله ، مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ، ورحمن أشد مبالغة من رحيم قال **U** : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } ^(١) وقال تعالى : { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ } ^(٢) .
وقال تعالى : { وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ } ^(٣) .

معناهما :

جاء في بعض الآثار التي أوردها إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله : قال العزرمي : يقول { الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } قال : الرحمن بجميع الخلق ، والرحيم ، قال : بالمؤمنين ^(٤) . فهو رحمنٌ بجميع خلقه ، يُغدق عليهم رزقه ومطره ، وينعم عليهم بنعمة الحواس ، وسائر النعم العامة ، وهو سبحانه

(١) طه : ٥ .

(٢) الأنبياء : ٨٣ .

(٣) المؤمنون : ١١٨ .

(٤) تفسير الطبري : (١ / ١٢٦ ، ١٢٧) .

رحيمٌ بأهل الإيمان ، ينعم عليهم بنعمة الإيمان والهداية لهم ، واللفظ بهم ، والمعية معهم ؛ قال الله **U** : { وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا } (١) .

والفرق بين " الرحمن " و " الرحيم " ما ذكره الإمام ابن جرير (٢) - رحمه الله - حيث قال : " ... وذلك أن المعنى الذي في تسمية الله بالرحمن ، دون الذي في تسميته بالرحيم ، فالتسمية بالرحمن موصوفٌ بعموم الرحمة جميع خلقه ، والتسمية بالرحيم موصوفٌ بخصوص الرحمة بعض خلقه ، إمّا في كل الأحوال ، وإمّا في بعض الأحوال " أ . هـ .

وروى ابن جرير الطبري عن أبي سعيد قال : قال رسول الله **e** : (إن عيسى بن مريم **U** قال : " الرحمن : رحمن الآخرة والدنيا ، والرحيم : رحيم الآخرة ") (٣) .

وقال ابن المبارك : الرحمن إذ سئل أعطى ، والرحيم إذا لم يُسأل يغضب .
قال أحدهم :

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يُسأل يغضب

اختصاصهما :

والرحمن مختصٌّ بالله **U** ، ولا يجوز أن يُسمّى به غيره قال تعالى :

(١) الأحزاب : ٤٣ .

(٢) تفسير الطبري : (١ / ١٢٦ ، ١٢٧) .

(٣) تفسير الطبري : (١ / ١٢٦) .

{ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } (١) ، وقال سبحانه : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } ، وقال جل وعلا : { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } ، ولأجل هذا لم يُتَّسَمَ أحدٌ باسم الرحمن لاختصاصه بالرب جلَّ وعلا؛ ولما تجرأ الشقيُّ مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابِ ووصف نفسه بـ "رحمن اليمامة"؛ ألْبَسَهُ اللهُ جَلْبَابَ الكَذْبِ، وصارَ الكَذَّابُ اسماً له لا يُعرفُ إلا به، فلا يذكر أحدٌ اسمه (مُسَيْلِمَةُ) إلا وأتبعه بالكذَّابِ ، لأنه تسمَّى باسم الله الذي لا يتسمى به أحدٌ إلا الله .

وأما الرحيم ، فقد يسمى به أحدٌ من الخلق ، لقوله تبارك وتعالى عن النبي e : { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } (٢) .

وقال ابن عباس : { الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } : الرقيق الرفيق بمن أحب أن يرحمه ، والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه .

ورحمة الله تبارك وتعالى وسعت كل شيء ، كما قال U : { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ } (٣) .

بل إن إسلامنا وديننا ونبينا وشريعتنا وما أنزل الله U علينا من نور وهداية كله رحمة من الله تبارك وتعالى ، اختصر الله U ذلك كله فقال

(١) الإسراء : ١١٠ .

(٢) التوبة : ١٢٨ .

(٣) الأعراف : ١٥٦ .

سبحانه وتعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }^(١) فالصلاة رحمة ،
والصيام رحمة، والصدقات رحمة، وصلة الأرحام رحمة، وبر الوالدين رحمة ،
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رحمة، وكل قربة تتقرب بها إلى الله U
هي رحمة، ونبينا عليه الصلاة والسلام كما ذكر هو عن نفسه عليه الصلاة
والسلام هو الرحمة المهداة إلى خلق الله تبارك وتعالى.

عن أبي هريرة t قال : سمعت رسول الله e يقول : (إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ
رَحْمَةٍ ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً ، بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِ ، فِيهَا
يَتَعَاطَفُونَ ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ ، وَبِهَا تَعَطَّفُ الْوَحُوشُ عَلَيَّ وَلِدَهَا ، وَأَخَّرَ اللَّهُ
تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً ، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(٢) .

فما نراه من هذه الرحمة بين الأم وابنها ، وبين البهيمة ووليدها ، وبين
الناس جميعاً ، ما نراه من هذه الرحمة الموجودة في الدنيا كلها ، ما هي إلا
رحمة واحدة فقط من مائة رحمة، وأخَّرَ سبحانه وتعالى تسعة وتسعين رحمة،
أَدَّخَرَهَا لعباده المؤمنين يوم القيامة ، أَدَّخَرَهَا للمؤمنين ، ولم يُبقِ لأهل النار
رحمة واحدة والعياذ بالله U من ذلك اليوم الرهيب العظيم .

ورحمة الله U بعباده واضحة وجلية ، ولكن ما حظنا نحن المسلمين من
هذه الرحمة؟! وما الذي طلبه الله U مِنَّا من هذه الرحمة؟! وما هو الجانب

(١) الأنبياء : ١٠٧ .

(٢) رواه البخاري (٦٠٠٠ ، ٦٤٦٩) ، ومسلم (٢٧٥٢ ، ٢٧٥٣ ، ٢٧٥٥) .

العملي عندما نتكلم عن الرحمة وعن الرحمن وعن الرحيم؟ ما هو جانبنا العملي، نحن المسلمون، نحن أمة محمد عليه الصلاة والسلام؟! .
نحن مطالبون بالرحمة العامة، ومطالبون بالرحمة الخاصة .

أما الرحمة العامة : فهي رحمة المسلمين أجمعين ، بل ورحمة الكافرين أيضاً بإنقاذهم من عذاب الله U ، ورحمة البهائم ، ورحمة الجمادات ، ورحمة كل شيء .

وفي الحديث الحسن عن أبي موسى t ، أنه سمع النبي e يقول : (لن تؤمنوا حتى تراحموا) لن يستقر الإيمان ويكتمل في قلوبكم ، إلا بالتراحم واللين والشفقة ، أما إذا تبيست هذه المعاني وأصبحت متحجرة ، وأصبحت يابسة ، وأصبحت قاسية وشديدة ، فإن ذلك علامة على قسوة القلب ، وضعف الإيمان ، والعياذ بالله U ، قال : (لن تؤمنوا حتى تراحموا) قالوا : يا رسول الله كلنا رحيم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه) ليست هذه الرحمة التي أعنيها رحمة أحدكم بصاحبه أو قريبه أو حبيبه (ولكنها رحمة العامة)^(١) لين القلب مع كل الناس من عرفت ومن لم تعرف .

وروى البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله t قال : قال رسول الله e : (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله)^(٢) .

(١) قال المنذري في " الترغيب " (٣٣٣٢) : رواه الطبراني ، ورواه رواية الصحيح .

(٢) رواه البخاري (٦٠١٣) ، ومسلم (٢٣١٩) .

فالجزاء من جنس العمل، وقد قال الله سبحانه وتعالى: { إِنَّمَا تُجْرَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }^(١) ، فمن كان رحيماً بخلق الله ، كان الله U رحيماً به ، وعامله بمثل عمله ، وقابله بمثل صنيعه ، ومن كان قاسياً على عباد الله ، ومن كان شديداً عليهم عامله الله كذلك .

ونحن في هذه الأيام وللأسف الشديد ، قلَّ فيها من يرحم أولاده ، أو يرحم أقاربه، أو يرحم أصدقاءه ، فضلاً عن أن يرحم الفقير والمسكين والضعيف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وهذا من علامة ضعف الإيمان ، ومن علامات خواء القلوب من مراقبة علام الغيوب سبحانه وتعالى ؛ لما خَلَّتْ قلوبنا من هذه المراقبة ، أصبحت قاسية ، فترى ذاك الإنسان يُصْرِّهُ على إخراج مَنْ فِي بيته من المستأجرين لأنه تأخر في سداد الأجرة ؛ انتظر يا أخي قليلاً ، سامح ، أو اصبر إلى أن يُيسِّرَ الله له أمره ، كما قال سبحانه : { وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ }^(٢) كيف تريد أن يخرج هذا من بيته إلى الشارع وهو لا يملك المال؟! هو أخوك المسلم ، عليك أن تدبر أمره وترحمه .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن رسول الله e قال : (الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)^(٣) لا ترحم من في الأرض حتى يرحمك من في الأرض ، وإنما

(١) الطور : ١٦ ، التحريم : ٧ .

(٢) البقرة : ٢٨٠ .

(٣) رواه أبو داود (٤٩٤١) ، والترمذي (١٩٢٤) وقال : حديث حسن صحيح .

ارحم من في الأرض حتى يرحمك من في السماء ، اطلب من الله **U** أن يرحمك برحمتك لعباد الله .

وعن أبي هريرة **t** قال : سمعت الصادق المصدوق **e** يقول : (لا تترع الرحمة إلا من شقي) ^(١) والعياذ بالله **U** .

فإذا رأى الإنسان من نفسه قسوةً في معاملة خلق الله ، فليعلم أن فيه شقاوةً والعياذ بالله **U** ، وليجتهد أن يخلص نفسه من تلك الشقاوة ، لأن الشقاوة إذا ختم الله **U** حياة الإنسان عليها ؛ أصبحت شقاوةً دائمة لا تنتهي ولا تنقطع، ولكن مادام أنه في الدنيا باستطاعته أن يغير هذه الشقاوة، بأن يلين لعباد الله **U** ، ويتقي الله تبارك وتعالى .

وعن أبي هريرة **t** أن رسول الله **e** قال : (كان رجل يُداينُ الناس، وكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه ، لعل الله أن يتجاوز عنّا، فلقى الله **U** ، فتجاوز عنه) ^(٢) ، وفي روايةٍ قال الله : (أنا أحقُّ بذلك منك ، تجاوزوا عن عبدي) .

فالجزاء من جنس العمل ، وقد جاء في الحديث : (البرُّ لا يبلى والذنب لا يُنسى والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تُدان) ^(٣) .

(١) رواه أبو داود (٤٩٤٢) واللفظ له ، والترمذي (١٩٢٣) ، وابن حبان (٤٦٢) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٢) رواه البخاري (٢٠٧٨) ، ومسلم (١٥٦٢) ، وأحمد (١٢٠ / ٤) .

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف عن أبي قلابة مرسلاً . وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٣٦٩) ، والضعيفة (١٥٧٦) .

هذه الرحمة هي الرحمة العامة ؛ الرحمة بكل شيء حتى بالبهايم ، فقد جاء عن النبي **e** في الحديث الحسن والأحاديث كثيرة في هذا الجانب ونكتفي بحديث واحد ، فعن أبي مسعود **t** قال : كنا مع رسول الله **e** في سفرٍ فانطلق لحاجته ، فرأينا حُمْرَةً معها فرخان ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحُمْرَةُ تُعَرِّشُ ، فجاء النبي **e** فقال: (من فجع هذه بولديها ؟ رُدُّوا ولديها إليها) ورأى قرية نخل قد حرقناها فقال: (من حرق هذه ؟) قلنا : نحن . قال : (إنه لا ينبغي أن يُعذَّبَ بالنار إلا رب النار)^(١) .

هذا هو إسلامنا ، وهذا هو ديننا وشرعنا ، والحمد لله رب العالمين ، كله رحمة ، وذلك فضل الله تبارك وتعالى على عباده .

أما الرحمة الخاصة : وهي أهم وأشد تأكيداً في أحاديث النبي **e** ، وهي رحمة الأقارب ، وما تسمى في الشرع بصلة الأرحام ، وهي في الحقيقة رحمة .

عن عبد الرحمن بن عوف **t** قال : سمعت رسول الله **e** يقول : " قال الله **U** : أنا الله ، وأنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسماً من اسمي ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته - أو قال : بنتُّه " ^(٢) .

فمن هو صاحب هذه الرحم التي يجب علينا أن نصلها ، ومن قطعها ارتكب كبيرةً من الكبائر ؟ .

(١) رواه أبو داود (٢٦٧٥) .

(٢) رواه أبو داود (١٦٩٤) ، والترمذي (١٩٠٧) ، وقال الترمذي : حديث حسن

صحيح .

قال العلماء رحمهم الله تبارك وتعالى : والرحم التي تجب صلتها : كل رحم من ذوي الأرحام الذين قسم الله U لهم في الميراث ، فمن قسم الله له في ميراثك من بعدك ؛ هو الذي يجب عليك أن تصل رحمه ، وزاد بعض العلماء : رحم الأم الخال والخالة .

وصح ذلك الإمام النووي رحمه الله تبارك وتعالى في شرحه على صحيح مسلم ، وبيّن أن الرحم التي يجب على المسلم أن يصلها هم الذين يتوارثون ، أما ما عدا ذلك فهي رحم يستحب صلتها ويكره قطيعتها .

والمتوارثون هم :

- ١ - جهة الأبوة : الأب والجد وإن علا .
 - ٢ - جهة الأمومة : الأم وأم الأم وإن علت ، و أم الأب وإن علت ، وأم أب الأب وإن علا .
 - ٣ - جهة البنوة : الابن وابن الابن وإن نزل ، والبنت وبنت الابن وإن نزل أبوها .
 - ٤ - جهة الأخوة : الأخ الشقيق ، وابن الأخ الشقيق وإن نزل ، والأخ لأب ، وابن الأخ لأب ، وإن نزل ، والأخ لأم ، والأخت الشقيقة ، والأخت لأب ، والأخت لأم .
 - ٥ - جهة العمومة : العم الشقيق وابن العم الشقيق وإن نزل ، العم لأب ، وابن العم لأب ، وإن نزل .
 - ٦ - جهة الزوجية : الزوج ، والزوجة .
- وأضاف العلماء — كما ذكرنا — رحم الأم وهم : الخال والخالة ، والله تبارك وتعالى أعلم وأجل وأكرم .

فالواجب على المسلم أن يصل هذه الأرحام ، ولكننا نرى في هذه الأيام عجباً ؛ نرى كثيراً من الناس يصلون الأباعد ، ويقطعون الأقارب ، ويقولون : أرحام !؛ وهم لا يعرفون ماهي الأرحام ، ولا يعرفون ماهي الرحم التي ألزم الله U وأمر بصلتها ؛ فتجده عند أصهاره ، وهو تاركٌ لأمه وأبيه، وأخيه وأخته ، وخالته وعمته ، وغير ذلك من أقاربه الذين ألزمه الله تبارك وتعالى بصلتهم ؛ وتجده يقول أنا أصل رحمي؟! كيف تصل رحمك؟! لا بد أن تعرف أن هناك تسلسلاً ، وأن هناك تدرجاً ، وأن هناك مراتب لا يمكن أن يتقدم على الأب والأم أحدٌ ، ولا يمكن أن يتقدم على الأبناء وعلى الزوجة ، وهكذا ؛ فهناك تسلسل وتدرج ؛ الأولى فالأولى ، فعلى المسلم أن يعرف هذا التدرج ، وأن يحسنه ، وأن يراقب الله تبارك وتعالى ، ولا يستعمل هواه ، ولا يستعمل رغباته ومزاجه ، فيقدم من أحب ويترك من لا يُحب ، فإن هناك أرحاماً واجبةً هي التي ذكرناها ، لا يجوز لمسلم بحال من الأحوال أن يتخلى عنها ، أو أن يقطعها ، ومن قطعها فقد ارتكب كبيرةً من الكبائر والعياذ بالله U .

عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله e : (الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله) (١) .

وعن سعيد بن زيد عن النبي e أنه قال : (من أربى الربا الاستطالة في عرض مسلم بغير حق وإن هذه الرحم شجنة^(١) من الرحمن U فمن قطعها حرّم الله عليه الجنة) (٢) .

(١) رواه مسلم (٢٥٥٥) .

فالرحمُ من رحمة الله تعالى ، فمن قطعها جازاه الله بأن قطع عنه الرحمة ، وهي جنة عرضها السماوات والأرض .

وعن أبي هريرة **t** أن رسول الله **e** قال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه) (٣) .

وعن أنس بن مالك **t** قال : سمعت رسول الله **e** يقول : (من سره أن يُيسط له في رزقه وأن يُنسا له في أثره — أي: يُمدد له في عمره ، أو يبارك له فيه — فليصل رحمه) (٤) . وفي رواية: (ويُدفع عنه ميتة السوء) .

وعن أبي بكرة **t** أن رسول الله **e** قال : (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا ، مع ما يُدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم) (٥) .

وعن جبير بن مطعم **t** ، أنه سمع النبي **e** يقول : (لا يدخل الجنة قاطع) (٦) يعني : قاطع رحم .

(١) شُجنة : أي : مشتبكة ، كاشتباك العروق .

(٢) رواه أحمد (١ / ١٩٠) وقال محققو المسند (١٦٥١) : إسناده صحيح .

والحديث رواه كذلك أبو داود (٤٨٧٦) ، والحاكم (١٥٧ / ٤) .

(٣) رواه البخاري (٦١٣٨) ، ومسلم (٤٧) .

(٤) رواه البخاري (٢٠٦٧) ، ومسلم (٢٥٥٧) .

(٥) رواه الترمذي (٢٥١١) ، وأبو داود (٤٩٠٢) وقال الترمذي : حديث حسن

صحيح .

(٦) رواه البخاري (٥٩٨٤) ، ومسلم (٢٥٥٦) .

#

﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾

ذكر الإمام الرازي في تفسيره ^(١) أن الله **U** بدأ هذه السورة بذكر الألوهية بلفظ الجلالة ، ثم ذكر الربوبية بعدها في قوله : { رَبِّ الْعَالَمِينَ } ، ثم ذكر : { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } ، ثم بعد ذلك ذكر : { مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } وذكر أن هناك تناسباً ؛ لأن الله تبارك وتعالى أوّل ما ذكرنا بأنه هو الله الخالق ، ثم ذكرنا بأنه هو الرب المعبود سبحانه وتعالى ، فإذا أخطأ الإنسان وسهى وغفل وأذنب فهو الرحمن الرحيم، يغفر الذنوب سبحانه وتعالى لمن تاب وأقبل عليه، ثم بعد ذلك حتى لا يغتر الإنسان برحمة الله فيعصيه؛ جاء قوله **U** : { مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } فإذا كان هو { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } فهو مالك يوم الدين ، وهذا شبيه بقوله **U** { غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَهُ الْمَصِيرُ } ^(٢) ، ولذلك جاءت هنا : { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ .

مالك : من الملك ، والمراد : مالك الأمر كلّهُ في يوم الجزاء .

(١) " التفسير الكبير " (٢١٦ / ١) ط. دار الكتب العلمية . وهو هنا بمعناه .

(٢) غافر : ٣ .

قال ابن عباس **t** : لا يملك أحدٌ في ذلك اليوم معه حكماً كملكهم في الدنيا . أ.هـ (١) .

فالناس يملكون في هذه الحياة الدنيا أشياء كثيرة ، ولكن ملكهم مجازياً محدوداً بأعمارهم ، محدوداً بأوقات معينة ، ومحدوداً بأمكان معينة ، ومحدوداً بقدرة معينة ، أما مُلكُ الله جل وعلا ؛ فملكه عامٌ لجميع الخلق ، ومُلكه في كل زمانٍ وفي كل مكان ، سبحانه وتعالى ، فهو المالك الحقيقي في الدنيا والآخرة .

وليس معنى أنه مالك يوم الدين ، أنه لا يملك الدنيا ؛ لا ، وإنما المقصود أن يوم القيامة ويوم الدين لا يملك أحد معه سبحانه وتعالى شيئاً من الأشياء؛ كقوله **U** : { لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } (٢) ، وكقوله **U** : { الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَبِيرُ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا } (٣) فالإنسان يملك أرضاً ، ويملك سيارةً ، ويملك أشياءً ، ولكن ملكه ملكاً ضعيفاً محدوداً ، في زمن معين ، وبقدرة معينة ، وبمكان معين ، أما الله تبارك وتعالى ، فهو المالك المطلق **U** .

فتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه ، وإنما أضيف إلى يوم الدين ؛ لأنه لا يدعي أحد هناك شيئاً ، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه ، قال

(١) " تفسير ابن كثير " (١ / ١٥٧) ط . ابن حزم .

(٢) غافر : ١٦ .

(٣) الفرقان : ٢٦ .

عبد الله ابن عباس **t** : " ويوم الدين : يوم الحساب للخلائق ، وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر " (١) .
 وناسب أن يكون الجزاء بعد ذكر الألوهية ، ثم الربوبية ، ثم الرحمة ، قال
 الله تعالى : { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ
 يَوْمِ الدِّينِ } .

ورود عبارة { يوم الدين } في القرآن :

{ يَوْمِ الدِّينِ } يعني يوم الجزاء ؛ سُمِّيَ ديناً لأن الله **U** يدينهم بأعمالهم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، إلا من عفى الله تبارك وتعالى عنه .

وقد سَمَّى الله يوم الجزاء بيوم الدين في آيات كثيرة ، وكأنه شبيهة بالدين الذي يأخذه الإنسان ثم يُسدده بعد ذلك ؛ ومن هذه الآيات :
 قال تعالى : { إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصَلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ } (٢) .
 وقال جل وعلا : { وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ } (٣) .

(١) " تفسير ابن كثير " (١ / ١٥٧) .

(٢) الانفطار : ١٣ - ١٧ .

(٣) الشعراء : ٨٢ .

- وقال سبحانه : { وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكَذِّبُونَ }
 ﴿ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ (١) .
- وقال جل وعلا : { يَسْأَلُونَ آيَانَ يَوْمِ الدِّينِ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ دُوقُوا فَنَتَكَّرْ هَذَا
 الَّذِي كُتِبَ بِهِ سَتَعَجِلُونَ } (٢) .
- وقال U : { ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ لَأَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ فَمَا لَتَوْنَ مِنْهَا
 الْبُطُونَ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَمِيمِ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ } (٣) .
- وقال تبارك وتعالى : { وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ } (٤) .
- وقال سبحانه : { وَكُنَّا نُكَذِّبُ يَوْمَ الدِّينِ } (٥) .
- وقال جل وعلا : { الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ } (٦) .
- وقال سبحانه : { فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الدِّينِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ } (٧) .
- وقال تبارك وتعالى : { أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكْذِبُ بِاللِّدِينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ
 الْيَتِيمَ } (٨) .

الجزاء من جنس العمل :

-
- (١) الصفات : ٢٠-٢٢ .
 (٢) الذاريات : ١٢-١٤ .
 (٣) الواقعة : ٥١ - ٥٦ .
 (٤) المعارج : ٢٦ .
 (٥) المدثر : ٤٦ .
 (٦) المطففين : ١١ .
 (٧) التين : ٧-٨ .
 (٨) الماعون : ١-٢ .

والجزاء إنما يكون من جنس العمل ، كما ذكر ربنا تبارك وتعالى في كتابه ، وأكدته نبينا **e** في سنته ، فمن عمل عملاً طيباً جازاه الله تبارك وتعالى بالطيب ، ومن عمل عملاً سيئاً جازاه الله تبارك وتعالى بالسيء ، فإنه سبحانه حكمٌ عدلٌ لا يُحبُّ الظلم ولا يرضاه .

قال تعالى : { مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا بِمِثْلِهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ

ذَكَرَ أَوْ أُنْفِثَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ {

وقال تبارك وتعالى : { إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (١) .

وقال سبحانه : { لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ } (٢) .

وقال تبارك وتعالى : { هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (٣) .

وقال جل وعلا : { وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (٤) .

وقال **U** : { الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (٥) .

وقال سبحانه : { جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (٦) .

وعن جابر بن عبد الله **t** قال : قال رسول الله **e** : (بروا آبائكم

تبركم أبناءكم ، وعفوا تعف نساؤكم) (١) .

(١) الطور : ١٦ .

(٢) إبراهيم : ٥١ .

(٣) النمل : ٩٠ .

(٤) يس : ٥٤ .

(٥) الجاثية : ٢٨ .

(٦) الواقعة : ٢٤ .

فهذه النصوص واضحة في أن الجزء من جنس العمل ، لكن الله تبارك وتعالى ، تفضلاً منه وتكرماً وإحساناً إلى عباده ، يجازي على الحسنة بعشر أمثالها ، بل يُضاعفُ ما يشاء لمن يشاء سبحانه فهو كريم جواد ، ويجازي على السيئة بمثلها ، وقد يعفو ويسامح فهو سبحانه غفور رحيم ، قال سبحانه : { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا بِمِثْلِهَا وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ }^(٢) فلا يزداد في سيئاتهم ، ولا يُنقص من حسناتهم ؛ لكمال عدله وفضله وكرمه ورحمته سبحانه وتعالى .

روى أحمد عن جابر **t** مرفوعاً إلى النبي **e** أنه قال : (يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ — أَوْ قَالَ : — النَّاسَ عِرَاقَةً غَرَلًا بِيَهُمَا) قال : قلنا : وما بيهما ؟ قال : (ليس معهم شيءٌ ، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قُربٍ : أنا الملك ، أنا الديان ، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النارَ وله عند أحد من أهل الجنة حقٌ حتى أقصه منه ، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنةَ ولأحد من أهل النارِ عنده حقٌ حتى

(١) رواه الحاكم (٧٣٤١) ، وهو عند الطبراني في الأوسط (١٠٠٢) من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً ؛ قال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (١٣٨ / ٨) ، (١٣٩) : رجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني ؛ أحمد ، فإنه غير منسوب ، والظاهر أنه من المكثرين من شيوخه فلذلك لم ينسبه . والله أعلم . هـ .

(٢) الأنعام : ١٦٠ .

أَقْصَهُ مِنْهُ ، حَتَّى اللَّطْمَةِ) قَالَ : قَلْنَا : كَيْفَ ، وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ **U** عُرَاةً
غُرْلًا بُهْمًا ؟ قَالَ : (بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ) (١) .

وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ **t** عَنِ النَّبِيِّ **e** قَالَ : (لَتُؤَدَّنَ
الْحَقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءُ مِنَ الشَّاةِ الْقِرْنَاءُ) (٢) .
وَفِي رِوَايَةٍ : (وَحَتَّى لِلذَّرَّةِ مِنَ الذَّرَّةِ) (٣) . فَكَيْفَ بَنِي آدَمَ الَّذِينَ كَلَّفَهُمُ اللَّهُ
U بِأَحْكَامِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا !؟ .

فِيَوْمِ الْقِيَامَةِ يَوْمٌ تُسَدَّدُ فِيهِ الدُّيُونُ ، وَيَجَازَى فِيهِ كُلُّ إِنْسَانٍ بِعَمَلِهِ ،
وَلِذَلِكَ حَقُوقُ الْعِبَادِ عَظِيمَةٌ ، لِأَنَّ الذُّنُوبَ الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ مَبْنَاهَا عَلَى
الْمَسَامَحَةِ ، إِنْ عَفَى اللَّهُ عَنْكَ وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ فُزْتَ وَنَجَوْتَ ، وَأَمَّا حَقُوقُ الْعِبَادِ
فَلَا ؛ فَلَيْسَ فِيهَا عَفْوٌ مِنَ اللَّهِ حَتَّى تَرُدَّ حَقَّ النَّاسِ إِلَيْهِمْ ، وَمَنْ أَيْنَ لِلْإِنْسَانِ
أَنْ يَرِدَ حَقَّ النَّاسِ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ !؟ وَقَدْ غَادَرَ الدُّنْيَا !؟ وَهَنَا يَنْبَهُنَا النَّبِيُّ
e وَيَذَكِّرُنَا بِأَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَبَادِرَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بَرْدَ الْحَقُوقِ لِأَصْحَابِهَا
قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَالْحَذَرَ مِنَ ظَلَمِ الْعِبَادِ .

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ **t** أَنَّ النَّبِيَّ **e** قَالَ : (اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ
ظَلَمَاتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (٤) ، نَاسِبَ الظُّلْمِ الظُّلْمَاتُ ، لِمَا كَانَ الظُّلْمُ كُلُّهُ
ظُلْمَاتٍ فِي الدُّنْيَا ، وَكُلُّ ظُلَامٍ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ **U** ؛ جَازَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
الظَّالِمَ بِالظُّلْمَاتِ .

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٣ : ٤٩٥) وَقَالَ مُحَقِّقُو الْمُسْنَدِ (١٦٠٤٢) : إِسْنَادُهُ حَسَنٌ .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٥٨٢) ، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٤٢٠) .

(٣) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٢ / ٣٢٣ ، ٣٧٢ ، ٤١١) وَلَفْظُهُ : (يَقْتَصُّ لِلخَلْقِ بَعْضَهُمْ مِنْ
بَعْضٍ حَتَّى لِلجَمَّاءِ مِنَ الْقِرْنَاءِ وَحَتَّى لِلذَّرَّةِ مِنَ الذَّرَّةِ) وَقَالَ الْحَافِظُ الْمُنْذِرِيُّ فِي
التَّرغِيبِ (٥٢٧٨) : وَرَوَاتُهُ رِوَاةُ الصَّحِيحِ .

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٥٧٨) .

وعن أبي هريرة **t** قال : قال رسول الله **e** : (من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء ، فليتحلله منه اليوم ، قبل أن لا يكون ديناراً ولا درهماً ، إن كان له عملٌ صالحٌ أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسناتٌ أخذ من سيئاتِ صاحبه فحُمِل عليه) ^(١) والعياذ بالله **U** .

وروى مسلم أيضاً في الذي يشرب الخمر والعياذ بالله **U** ، ويتعاطى المخدرات ، عن جابر بن عبد الله **t** قال : قال رسول الله **e** : (وإنَّ على الله عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه من طين الخبال) قالوا يا رسول الله : وما طينة الخبال ؟ قال : (عرق أهل النار ، أو : عصارة أهل النار) ^(٢) كما شرب مما حرمه الله عليه ، يسقيه الله **U** عرق أهل النار أو عصارتهم ، فالجزاء من جنس العمل .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله **e** : (الرحم معلقةٌ بالعرش تقول : من وصلني ، وصله الله ، ومن قطعني قطعته الله) ^(٣) . فإن وصلتَ الرحم يصلك الله **U** بجننته ، وإن قطعت الرحم يقطعك الله **U** في نار جهنم ، والعياذ بالله **U** .

وعن أنس بن مالك **t** قال : قال رسول الله **e** : (لما عُرج بي مررت بقومٍ لهم أظفار من نحاسٍ يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : من

(١) رواه البخاري (٢٤٤٩) .

(٢) رواه مسلم (٢٠٠٢) .

(٣) رواه مسلم (٢٥٥٥) .

هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في
أعراسهم) (١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : (رأيت الليلة رجلين أتياني — إلى أن قالا
— وأما الذي رأيت يشق شذقه فكذاب يكذب الكذبة فتحمل عنه حتى
تبلغ الآفاق ، فيُصنع به هكذا إلى يوم القيامة) (٢) .

وفي الحديث : (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذرِّ في صُور
الرجال ، يغشاهم الذلُّ من كلِّ مكانٍ ، يساقون إلى سجنٍ في جهنم يقال
له: بولس ، تصلوهم نيرُ الأنيار ، يُسقون من عصارة أهل النار " طينة
الخبال ") (٣) . الجزء من جنس العمل ؛ تكبروا في الدنيا على الناس ،
فجعلهم الله يوم القيامة أمثال النمل ، وأمثال الذرِّ ، تطوَّهم الناس بأقدامهم ،
في ذلك العرض العظيم الرهيب .

وفي الحديث الصحيح قوله e : (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا
يؤدي منها حقها إلا إذا كان يومُ القيامة صُفِّحت له صفائح من نار ،
فأحمي عليها في نار جهنم ، فيكوى جنبه وجبينه وظهره ، كلما رُدَّتْ

(١) رواه أحمد (٢٢٤ / ٣) ، وأبو داود (٤٨٧٨) ، وقال محققو المسند (١٣٣٤٠)
: إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٢) رواه البخاري (٧٠٤٧) ، ومسلم (٢٢٧٥) .

(٣) رواه البخاري في " الأدب المفرد " (٥٥٧) ، والترمذي (٢٤٩٢) ، وأحمد
(٦٦٧٧) .

أُعيدت له ، في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله ، إما إلى الجنة وإما إلى النار (١). الجزء من جنس العمل.

وأما من كان عمله طيباً وصالحاً ، فقد قال سبحانه وتعالى : { مَنْ جَاءَهُ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَلِهَا } (٢) فيجازيه الله بالحسنى .

عن أبي هريرة **t** قال : قال رسول الله **e** : (من نَفَسَ عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا نَفَسَ الله عنه كربةً من كُربِ يومِ القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه) (٣).

وفي رواية : (ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله **e** : (...)
ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها ، ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام (٤) ؛ الجزء من جنس العمل ؛ لأنه ذهب مع أخيه المسلم على قدميه حتى ثبت حاجته ؛ ثبت الله قدميه يوم القيامة ، يوم تزل الأقدام .

(١) رواه البخاري (١٤٠٢) ، ومسلم (٩٧٨) واللفظ له .

(٢) الأنعام : ١٦٠ .

(٣) رواه مسلم (٢٦٩٩) .

(٤) قال المنذري في " الترغيب " (٣٨٦٠) ، (٣٨٨٣) : رواه ابن أبي الدنيا ، والأصبهاني . وقال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (١٩١ / ٨) : رواه الطبراني في الثلاثة ، وفيه مسكين بن سراج ، وهو ضعيف . ا.هـ .

وعن معاذ بن جبل **t** قال : سمعت رسول الله **e** يقول : قال الله تبارك وتعالى : (وجبت محبتي للمتحابين فيّ ، والمتجالسين فيّ ، والمتزاورين فيّ ، والمتبازلين فيّ) (١) .

الجزاء من جنس العمل ، لأنهم أحبوا إخوانهم في الله ، فأحبهم الله **U** ؛ جازاهم بمثل عملهم .

وعن أبي سعيد الخدري **t** قال : قال رسول الله **e** : (أيما مؤمنٍ أطعم مؤمناً على جوعٍ أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة ، وأيما مؤمنٍ سقى مؤمناً على ظمأٍ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمنٍ كسا مؤمناً على عُرِي كساه الله **U** يوم القيامة من حلل الجنة) (٢) .

وكذلك قال **e** : (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة) (٣) ؛ لأنه هو اليتيم عليه الصلاة والسلام ، وهو أشرف الأيتام ، فمن كفل يتيماً أكرمه الله بجوار أشرف الأيتام نبينا وحبينا محمد **e** .

فقوله تبارك وتعالى : { مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } أي : مالك يوم الجزاء ، فلا يجازي في ذلك اليوم أحد إلا الله سبحانه وتعالى .

(١) رواه مالك (٢ / ٩٥٤) وابن حبان (٥٧٥) ، وأحمد (٥ / ٢٣٣) وقال الإمام المنذري في " الترغيب والترهيب " (٤٤٣٧) : إسناده صحيح .

(٢) رواه الترمذي (٢٤٥١) واللفظ له ، وأبو داود (١٦٨٢) ، وقال الترمذي : حديث غريب . قال المنذري في " الترغيب " (١٣٩١) : وقد روي موقوفاً على أبي سعيد ، وهو أصحُّ وأشبهه .هـ .

(٣) رواه البخاري (٥٣٠٤) ، ومسلم (٢٩٨٣) .

من عمل حسنةً ، من عمل صالحاً ، من عمل خيراً ، من عمل طيباً ،
جازاه الله U بمثل عمله .
ومن عمل على خلاف ذلك ، جازاه الله بمثل عمله ، ولا يظلم ربك
أحداً .

#

إِيَّاكَ نَعْبُدُ

السُّرُّ فِي " إِيَّاكَ نَعْبُدُ "

قال الإمام ابن قَيِّم الجوزية رحمه الله : (وسرُّ الخلق والأمر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى إلى هاتين الكلمتين ... وهما الكلمتان المقسومتان بين الربِّ وبين عبده نصفين فنصفهما له تعالى وهو : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } ونصفهما لعبده وهو : { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } (١) .

لماذا قَدَّمَ : { إِيَّاكَ } على { نَعْبُدُ } ؟

وقدَّمَ { إِيَّاكَ } على { نَعْبُدُ } لحكَم منها :

١ - تقديمًا للخالق على المخلوق ، وتقديمًا للمعبود على العبد ، ولما في تقديم العبد على المعبود من الكبر ، فإذا قال العبدُ : نَعْبُدُ إِيَّاكَ ، فقد قدَّمَ نفسه على الله تبارك وتعالى ، وفي هذا شيءٌ من اعتبار الذات ، و شيءٌ من الكبر ، والله تبارك وتعالى يعلمنا الأدب ، ويعلمنا التواضع .

٢ - أنك إذا عرفت الله سهلت عليك العبادة بعد ذلك ، أما لو عبدته على غير معرفة به **U** ، فتكون العبادة شاقة ، ولكن لما قلت { إِيَّاكَ } وعرفت الله **U** بأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ عند ذلك سهلت عليك عبادته سبحانه وتعالى .

(١) " مدارج السالكين " (٩٥/١) ط . دار الكتاب العربي .

٣- تقديم المعبود أبلغ في التوحيد من تقديم العبد ، وحتى لا يتبادر إلى الذهن مطلقاً إله غير الله ، فلو قيل (نعبد إياك) لسؤل الشيطان للإنسان نعبد الدنيا أم الشهوات أم الشيطان أم الأصنام ، ولكن الله U قطع هذه الطريق تماماً فقال : { إياك نعبد } فليس هناك مجال للتشويش ، ولا مجال للشرك مع الله تبارك وتعالى في هذه الآية.

٤- أنه ذكر العبادة بصيغة الجمع { نعبد } تأكيداً على فضل الجماعة ، ولأنَّ (أعبد) فيها من الكبر ما فيها ، والمؤمن دائماً يعبد الله مع إخوانه المؤمنين ، ومع إخوانه المسلمين ، ولو عبد الله منفرداً في بيته مع نفسه ، فهو إنما يعبد الله مع الملائكة ، ومع مخلوقات الله التي لا تحصى ولا تعد، فهو على كل حال سواءاً كان منفرداً أو مع جماعة؛ فهو كما أخبر سبحانه : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } والسماء ممتلئة بالملائكة — كما صح عن النبي e — : (ما فيها موضع قدم إلا فيه ملكٌ واضعٌ جبهته ساجداً لله تعالى) (١)، السماء أظت وحق لها أن تتط من كثرة ما عليها من الملائكة ؛ فأنت عندما تعبد الله لا تعبد وحده ، وليست الملائكة فقط هي التي تعبد الله ، بل الشجر والحجر وكل شيء ؛ كما قال جل وعلا : { وَإِن

(١) رواه الترمذي (٢٣١٢) ، وابن ماجه (٤١٩٠) ، وأحمد (١٧٣ / ٥) ،
والحاكم (٥٤٤ / ٤) من حديث أبي ذر t مرفوعاً . والحديث صححه الحاكم
ووافقه الذهبي . وقال الترمذي : حديث حسن .

مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ. وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ }^(١)، وكما قال سبحانه :
 { أَلَمْ نَرِ أَنْ اللَّهَ يَسْبِيحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتِ كُلُّ قَدِّعِلْمٍ
 صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ }^(٢) وليس أحد إلا العاصي والكافر هو الذي شذ
 عن هذه العبادة التي يعبدها جميع خلائق الله تبارك وتعالى .

٥- { وَإِيَّاكَ } ، شفاء من الرياء بالإخلاص ، ففيها من الإخلاص ،
 وفيها من التوجه لله U والقصد ، فالله U لا يقبل من العمل إلا ما
 كان خالصاً لوجهه الكريم ، فقال { إِيَّاكَ } وحدك لا شريك لك
 نعبدك ، فهو تدريب لنا على الإخلاص ، فمهما كانت الأعمال
 عظيمةً وخلت من الإخلاص لله U ، وابتغاء وجهه الكريم ؛
 أصبحت جوفاء ليس لها قيمة والعياذ بالله U من ذلك .

معنى العبادة :

(والعبادة : تجمع أصليين : غاية الحب وغاية الذل والخضوع ، والعرب
 تقول : طريقٌ معبَّدٌ أي: مذل ، فمن أحببته ولم تكن له خاضعاً ، لم
 تكن عابداً له ، ومن خضعت له بلا محبة ، لم تكن عابداً له ، حتى تكون

(١) الإسراء : ٤٤ .

(٢) النور : ٤١ .

محباً خاضعاً) ^(١) ، وليس ذلك إلا لله تبارك وتعالى وحده؛ كما جاء في قوله تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } ^(٢) .
والعبادة هي التي خلق الله الخلق لها؛ لقول الله تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } ^(٣) .

وهي التي من أجلها أرسل الله الرسل ، كما قال تعالى : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } ^(٤) .
وقوله جل وعلا : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } ^(٥) .

وهي التي أمر الله بها رُسُلُه حتى الموت ، كما ذكر في كتابه العزيز :
{ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } ^(٦) ، وفي الآية دلالة على أن العبادة ليس لها سن معين ، ولا مكان محدد ، وإنما هي في كل زمان وكل مكان .
ولست أنت وحدك الذي تعبده ، بل هناك خلائق كثيرة يعبدونه معك ؛
كما في قول الله تبارك وتعالى : { وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ } ^(١) .

(١) بتصرف من "المدارج" (١ / ٩٥ ، ٩٦) .

(٢) البينة : ٥ .

(٣) الذاريات : ٥٦ .

(٤) النحل : ٣٦ .

(٥) الأنبياء : ٢٥ .

(٦) الحجر : ٩٩ .

وعبادُه الذين اختصهم الله بتلك العبودية ؛ ليس للشيطان عليهم سلطان ،
ولا سبيلٌ ولا مدخل ، لقوله سبحانه تعالى : { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانٌ } (٢) ، ولقوله **U** : { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ
وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } (٣) .

والعبودية أول كلمة لفظها نبيُّ الله عيسى **U** وهو في المهد ؛ لقوله
تعالى : { فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنَّي عَبْدُ اللَّهِ
ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا } (٤) .

ولذلك قال **e** - كما في حديث ابن عمر - : (أحب الأسماء إلى الله
تعالى عبد الله وعبد الرحمن) (٥) .

وهي أول طلب طلبه الله من موسى **U** عندما كلمه في الطور ، قال
تعالى : { إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي } (٦) .

(١) الأنبياء : ١٩ ، ٢٠ .

(٢) الحجر : ٤٢ .

(٣) الحجر : ٣٩ - ٤٠ .

(٤) مريم : ٣٠ .

(٥) رواه مسلم (٢١٣٢) ، وأبو داود (٤٩٤٩) ، والترمذي (٢٨٣٣) ، وابن ماجه
(٣٧٢٨) .

(٦) طه : ١٤ .

وهي من أعلى المراتب عند الله تعالى يوم القيامة ، لقوله سبحانه : { إِنَّ
الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا
تَفْجِيرًا } (١) .

شروط التحقق بـ " إياك نعبد " :

ذكر الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله : أن العبد لا يكون متحققاً بـ
{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ } إلا بأصلين عظيمين :

أحدهما : متابعة الرسول e ، والسير على نهجه وسنته وطريقته e ،
وترك الابتداع في الدين، وترك الإنشاء والاختراع في دين الله تبارك وتعالى،
والاكْتفاء بما جاء عن النبي e ، فإنما نحن متبعون ولسنا مبتدعين .

والثاني : الإخلاص للمعبود ؛ فهذا تحقيق { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } ، أن تخلص
في نيتك وقصدك ، في أعمالك وعبادتك لله U ، لا مراعاة للناس ، ولا
طلباً للجاه ، ولا رغبة فيما عند الناس ، وإنما طلباً لوجهه الكريم .

فإن وجدت في قلبك والعياذ بالله U شيئاً غير الله تعالى ، فقد عَلَّمْنَا
النبي e أن نقول : (اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه

(١) الإنسان : ٦ .

ونستغفرك لما لا نعلمه (١) إن قلت هذا الدعاء فقد برئت بإذن الله U
من الشرك كبيره وصغيره .

والناس مُنقسمون بحسب هذين الأصلين إلى أربعة أحزاب :

الحزب الأول : أهل الإخلاص للمعبود ، والمتابعة للرسول e ، وهم
أهل { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } حقيقةً .

الحزب الثاني : من لا إخلاص له ولا متابعة ، وهؤلاء خرجوا بالكلية
عن هذه الآية { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } فليس لهم فيها نصيب .

الحزب الثالث : من هو مخلص في أعماله ، لكنها على غير متابعة النبي
e ، وهذا ضلَّ الطريق .

الحزب الرابع : من أعماله على متابعة النبي e ، لكنها لغير الله وهذا
هو المنافق والمرائي (٢) .

والعبودية خاصة وعامة :

فالعبودية العامة : " عبودية القهر والملك " كقوله تعالى : { إِنْ كُنْ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ

(١) رواه أحمد (٤ / ٤٠٣) من حديث أبي موسى الأشعري t مرفوعاً ولفظه : (يا
أيها الناس ! إتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديب النمل) فقال له مَنْ شاء الله أن
يقول : كيف تنقيه يا رسول الله وهو أخفى من ديب النمل ؟ قال : (قولوا : اللهم
إنا نعوذ بك من أن نُشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلم) . قال الهيثمي في
" مجمع الزوائد " (١٠ / ٢٢٣) : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ،
ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي ، ووثقه ابن حبان . ا.هـ .

(٢) انظر مدارج السالكين (١ / ١٠٤ - ١٠٦) وهو هنا يتصرف .

الْقِيَمَةَ فَرْدًا }^(١) ، ومثل قول الله تعالى: { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ }^(٢) .

وأما العبودية الخاصة : فهي " عبودية الطاعة والمحبة " كقوله تعالى : { يَلْعَبُدِ لَّا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ }^(٣) ، وكقوله تعالى : { فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ }^(٤) ، وكقوله سبحانه أيضاً : { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا }^(٥) .

وقد فصل الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - في كتاب " مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين " ، ما يقارب من سبعين منزلاً من هذه المنازل العظيمة ، وذكر أن من العلماء من عدّها ألف منزلة ، ويبيّن في كتابه قواعد العبودية ومراتبها ومنازلها .

وصف الرسول e بالعبودية في القرآن :

ومن أعظم من وُصِفَ بالعبودية رسولنا محمد e ، فقد وصفه الله بها في أعظم أحواله ، ومن ذلك :

(١) مريم : ٩٣ - ٩٥ .

(٢) الفرقان : ١٧ .

(٣) الزخرف : ٦٨ .

(٤) الزمر : ١٧ ، ١٨ .

(٥) الفرقان : ٦٣ .

١ - في الإسراء ، قال جل وعلا : { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا } (١) .

٢ - في الوحي ، قال جل وعلا : { فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ } (٢) ،
وقال سبحانه : { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا } (٣) .
وقال تبارك وتعالى : { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } (٤) .

٣ - في الدعوة ، قال سبحانه : { وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ
عَلَيْهِ لِبَدًا } (٥) .

٤ - في التحدي ، قال تعالى : { وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (٦) .

٥ - في النصر ، قال جل وعلا : { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ
الْتَقَى الْجَمْعَانِ } (٧) .

(١) الإسراء : ١ .

(٢) النجم : ١٠ .

(٣) الكهف : ١ .

(٤) الفرقان : ١ .

(٥) الجن : ١٩ .

(٦) البقرة : ٢٣ .

(٧) الأنفال : ٤١ .

فهذه مقاماتٌ عاليةٌ شريفةٌ ، ومع هذا وصفه ربه بالعبودية ، وذلك أن العبودية من أشرف المنازل وأعظمها وأعلاها .

وصف رسول الله e نفسه بالعبودية :

روى الطبراني بإسناد حسن - كما قال المنذري في الترغيب - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله e ذات يوم وجبريل عليه السلام على الصفا ، فقال رسول الله e : (يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفةً من دقيق ولا كفٌ من سويق) فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدةً من السماء أفزعتُهُ ، فقال رسول الله e : (أمر الله القيامة أن تقوم ؟) ، فقال جبريل u : لا ، ولكن أمر إسرائيل فنزل إليك حين سمع كلامك ، فأتاه إسرائيل فقال : إن الله تعالى سمع ما ذكرت ، فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض ، وأمرني أن أعرض عليك : أُسير معك جبال تهامة زُمرداً وياقوتاً وذهباً وفضةً ، فإن شئت نبياً ملكاً ، وإن شئت نبياً عبداً ، فأوماً إليه جبريل أن تواضع ، فقال e : (بل نبياً عبداً) ثلاثاً^(١) .
وجاء في الصحيح عن عمر بن الخطاب t قال : قال رسول الله e : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبدٌ ، فقولوا : عبد الله ورسوله)^(٢) .

(١) رواه الطبراني (٦٩٣٧) ، والبيهقي (٤٤٧) في الزهد .

(٢) رواه البخاري (٦٨٣٠) .

وفي صحيح مسلم : قوله **e** في بيان ما نقوله بعد الأذان : (... ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة) (١) .
وكان يقول **e** : (إني أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد) (٢) .

من ثمرات العبودية :

روى البخاري من حديث أبي هريرة **t** قال : قال رسول الله **e** : (إنَّ الله تعالى يقول : (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه) (٣) .

وروى الحاكم عن معقل بن يسار **t** ، عن النبي **e** أنه قال : (يقول ربكم : يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى ، وأملأ يديك رزقاً) (٤)

(١) رواه مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٢) مسند أبي يعلى (٤٩٢٠) .

(٣) رواه البخاري (٦٥٠٢) .

(٤) رواه الحاكم (٣٢٦/٤) وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .

وفي رواية : (أملاً صدرك غني وأسد فقرك ، وإلا تفعل ملأتُ صدرك
شُغلاً ولم أسد فقرك) (١).

وروى البخاري عن أبي هريرة **t** عن رسول الله **e** قال : (تعس عبد
الدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة ، إن أُعطيَ رضي ، وإن لم يعط
سخط ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش) (٢).

#

(١) رواه ابن ماجه (٤١٠٧) ، والترمذي (٢٤٦٦) ، واللفظ له وقال : حديث
حسن ، ورواه الحاكم (٤٤٣/٢) وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .
(٢) رواه البخاري (٢٨٨٧) .

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

ذكر الله جل وعلا الاستعانة في قوله : { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } ، بعد العبادة { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } ؛ لأن العبادة هي الأصل ، والاستعانة تأتي تابعة لها بعد ذلك .

ورودها في القرآن على لسان الأنبياء :

قالها موسى **u** ، كما في قوله **u** : { قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }^(١)
وقالها أيوب **u** ، كما في قوله تعالى : { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ }^(٢) .
وقالها حبيبنا المصطفى **e** ، كما في قوله تعالى : { قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ }^(٣) .

أنفع الدعاء :

قال ابن عباس **t** : { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } على طاعتك ، وعلى أمورنا كلها .

(١) الأعراف : ١٢٨ .

(٢) يوسف : ١٨ .

(٣) الأنبياء : ١١٢ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : تأملت أنفع الدعاء ؛ فإذا هو سؤال العون على مرضاته ، ثم رأيت في الفاتحة في : { يَاكَ نَعْبُدُ وَيَاكَ نَسْتَعِينُ } .

وقال ابن القيم رحمه الله : فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته ، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب ، وجميع الأدعية الماثورة مدارها على هذا ، وهو الذي علمه النبي ﷺ لِحَبِّهِ معاذ بن جبل **t** ، فقال **e** : يا معاذ والله إني لأحبك ، فقال : أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دُبرِ كل صلاة تقول : (اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) (١) .

وعن ابن عباس **t** قال : كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال لي : يا غلام إني أعلمك كلمات : (احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله) فاستعن بالله ؛ لأن هناك كثيراً من الناس وللأسف الشديد إذا أصيب بمصيبةٍ أو بليةٍ أو احتاج إلى أمرٍ ما ، هَرَعَ إلى الناس ، ونسي رب الناس سبحانه وتعالى ، لا بأس بالاستعانة بالناس ، وطلب العون منهم والمساعدة ، ولكن بعد الاعتماد ، وطلب الاستعانة من الله تبارك وتعالى (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى لك) مهما ذهبت أو طلبت من هذا أو من ذاك ، إذا لم يكن الله **U** قد كتبه لك ، فلن تحصل عليه ، إذاً فمن الذي تقصده أولاً ؟ إنه الله جل جلاله . (وإن اجتمعوا

(١) رواه أبو داود (١٥٢٢) ، وابن حبان (٢٠٢١) .

على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأَقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ (١) وجفَّتِ الصحفُ بمعنى أن الأَقلامُ قد كتبت في اللوح المحفوظ ما هو كائن وما كان وما سيكون إلى يوم القيامة ، وارتفعت تلك الأَقلامُ ، وجفَّتِ تلك الصحفُ ، فما هو حادث في هذه الأرض إنما هو بعلمه سبحانه وتعالى وتقديره .

وعن أبي هريرة **t** قال : قال الرسول **e** : (المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كلِّ خيرٍ ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز) إذاً المسلم مطالب بأن يكون ذا همةٍ عالية ، وذا نفسٍ قويةٍ شجاعة ، وذا نفسٍ طموحةٍ ولكن مع هذا الطموح ، ومع هذه النفسِ العالية ، ينبغي أن تكون هناك استعانة بالله ، لأنه مهما عظم الإنسان فهو تحت قدرة الله ، ومهما كبر الإنسان فهو محتاج إلى الله ، فلا بد وأن يستعين بالله **U** (وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان) (٢) انظر إلى هذا الحديث العجيب ؛ يقوي النبيُّ **e** نفسية المؤمن حتى لا ينهزم أمام الصعاب وأمام المصائب والبلايا والتي هي من طبيعة الحياة البشرية ، فلا يمكن أن تكون حياة بشرية من غير تمحيص ومن غير اختبار ومن غير ابتلاء ، ولكن المسلم المؤمن القوي ، الذي يتحمل هذه الصعاب ،

(١) رواه الترمذي (٢٥١٨) .

(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤) .

ويستقبلها بنفسية مؤمنة عالمة بحقيقة هذه الحياة ، فهو دائماً يستقبلها ببشرٍ
وبهدوءٍ ، وبحكمةٍ وطُمأنينةٍ ، وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن ولا يعجز .
كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز قال : لا تستعن بغير الله ، فيكلك
الله إليه .

ومن كلام بعض السلف : يا ربّ عجبتُ لمن يعرفك كيف يرجو غيرك ،
وعجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك !؟

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : وأما الاستعانة بالله U دون غيره من
الخلق، فالأنَّ العبدَ عاجز عن جلب مصالحه ودفع مَضَارِّه ، ولا معين له على
مصالح دينه ودنياه إلا الله U ، فمن أعانته الله فهو المعان ، ومن خذله الله
فهو المخذول ، وهذا تحقيق معنى قول : " لا حول ولا قوة إلا بالله " ^(١)
ومعناها : لا يحوّل عن المعصية ، ويقوي على الطاعة إلا الله ، وهي كلمة
عظيمة ^(١) .

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، معنى هذه الكلمات : تحقيق
الاستعانة الكاملة بالله U ، ومن كانت هذه الكلمة على لسانه دائماً وهو
موقن بها ، فهو المستعين بالله U حقاً ؛ وهذا هو الفوز المبين ، وهذه هي
الاستعانة بالله تبارك وتعالى ، الاستعانة به في ترك الذنوب ، فهو الذي
يعينك على التحول من المعصية إلى الطاعة ، ومن الذنب والإثم إلى العبادة

(١) " جامع العلوم والحكم " (٤٨١/١) بتصرف .

والثواب ؛ ولا يتقوى إنسان على صلاة ، ولا على عبادةٍ إلا بتقوية الله سبحانه وتعالى له ، وإعانتة له .

ما أعظم هذا الإله الكريم سبحانه وتعالى؟! فهو الذي يهديك إلى الصلاة ، وهو الذي يقويك على الصلاة ، وهو الذي يعينك على الصلاة ، فأنت في نعمائه تتقلب ، ليس لك جهد يذكر في خيره وفضله عليك سبحانه وتعالى، فهو الذي اختارك، وهو الذي أعانك، فهو المستحق للحمد أولاً وآخراً ، ودائماً وأبداً ، سبحانه وتعالى ، له الحمد ملء السموات ، وملء الأرض ، وملء ما بينهما، وملء ما شاء ربي من شيء بعد.

وكلمة (لا حول ولا قوة إلا بالله) كلمة عظيمة، وكثر من كنوز الجنة. روى البخاري ومسلم أن النبي **e** قال لأبي موسى الأشعري **t** : (قل : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كثر من كنوز الجنة)^(١) .

وروى الإمام أحمد أن رسول الله **e** قال لمعاذ بن جبل **t** : (ألا أدلك على باب من أبواب الجنة) قال : وما هو ؟ قال : (لا حول ولا قوة إلا بالله)^(٢) .

وفي رواية أن النبي **e** قال لأبي هريرة : (أكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كثر من كنوز الجنة)^(٣) .

(١) رواه البخاري (٦٣٨٤) ، ومسلم (٢٧٠٤) ، وأبو داود (١٥٢٦) وغيرهم .
(٢) رواه الإمام أحمد (٤٢٢ / ٣) وقال المنذري : وإسناده صحيح إن شاء الله .
(٣) رواه الترمذي (٣٦٠١) وقال : هذا حديث إسناده ليس بمتصل . مكحول لم يسمع من أبي هريرة .

وروى الحاكم عن أبي هريرة **t** قال : قال لي رسول الله **e** : (ألا أعلمك ، أو ألا أدلك على كلمة من تحت العرش من كثر الجنة ؟ تقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فيقول الله : أسلم عبدي واستسلم)^(١) لأنه استعان بالله **U** ، ولم يستعن بأحدٍ سواه .

وروى الإمام أحمد عن أبي أيوب الأنصاري **t** ، أن رسول الله **e** ليلة أُسريَ به ، مرَّ على إبراهيم **U** فقال : من معك يا جبريل ؟ فقال : هذا محمد **e** . فقال له إبراهيم **U** : يا محمد ، مُر أمتك فليكثرُوا من غراس الجنة ، فإن تربتها طيبة ، وأرضها واسعة . قال : وما غراس الجنة ؟ قال : (لا حول ولا قوة إلا بالله)^(٢) .

قال مكحول : من قال : " لا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا ملجأ من الله إلا إليه " ، كَشَفَ عنه سبعين باباً من الضُرِّ أدناهنَّ الفقر .

ومن الاستعانة بالله :

الاستعانة بالصبر والصلاة ؛ كما في قوله **U** : { وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ }^(٣) . وقوله تعالى : { يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ }^(١) .

(١) رواه الحاكم (٥١٧ / ١) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه هكذا ، ووافقه الذهبي

(٢) رواه الإمام أحمد (٤١٨ / ٥) وقال المنذري في " الترغيب " (٢٣٤٩) : إسناده حسن ، ورواه ابن حبان (٨١٨) .

(٣) البقرة : ٤٥ .

وعون العبد المسلم لأخيه على طاعة الله ، قال الله تبارك وتعالى :
{ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ } (٢) .

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة **t** قال : قال رسول الله **e** :
(والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) (٣) .

#

(١) البقرة : ١٥٣ .

(٢) المائدة : ٢ .

(٣) رواه الإمام أحمد (٢ / ٢٧٤) وقال محققو المسند (٧٧٠١) : حديث صحيح .

أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

الكلام عن الهداية :

قوله تعالى : { أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } جاء طلب الهداية بصيغة الجمع { أَهْدِنَا } ؛ لأن القبول من الجماعة أولى وأحب عند الله تبارك وتعالى ، فعندما يكون الإنسان في جماعة ويدعو الله تبارك وتعالى بلسان الجماعة : { أَهْدِنَا } فإنه أجدر وأولى بقبول هذا الدعاء إن شاء الله تبارك وتعالى .

وقد جاء في حديث النبي e : (فَإِذَا قَرَأَ الْعَبْدُ { أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) قال الله تبارك وتعالى : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل) فهو دعاء مستجاب بإذن الله U ، ولكن على المسلم أن يخلص نيته لله تبارك وتعالى .

معنى الهداية : الهداية — كما ذكر العلماء رحمهم الله تبارك وتعالى — لها معانٍ عدّة في القرآن العظيم ، وأول معنى من معان الهداية :

التوفيق : توفيق الله U لهذا العبد من عباده سبحانه بالهداية ، فهذا التوفيق يختص به الله U ، ولا يشاركه فيه أحد ، فهو الهادي سبحانه وتعالى : { وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا }^(١) فالله تبارك وتعالى هو الذي اختص بهذه الهداية ، هداية التوفيق والاختيار .

(١) الفرقان: ٣١ .

وهداية التوفيق على نوعين : عامة ، وخاصة.

أما العامة : فهي هداية الخلق لما ينفعهم ، ولما يصلح شؤونهم ؛ هدايتهم لمعايشهم، وأرزاقهم، وطريقة حياتهم ، وكل ما كتبه الله تبارك وتعالى لهم ، وهذه جاءت في قوله U : { قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴿١﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٢﴾ } (١) خلق ثم هدى ذلك الخلق ، وقال U { سَجَّ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ } (٢) فهو الذي هدى الكائنات كلها إلى ما يصلح أحوالهم في هذه الحياة الدنيا ، والمتأمل في هذا الكون يجد عجباً ، فذاك ثعبان البحر ، وثعبان الماء إذا أراد أن يتوالد وأن يتكاثر، يتجمع من أثمار الدنيا ، ومن برك الدنيا ، وبحيرات الدنيا وبحارها ، إلى منطقة في جنوب برمودا ، يتجمع هناك ، ثم تضع الأمهات البيض وتموت ، ثم يفقس ذلك البيض ، ويعود كل ثعبان من تلك الثعابين إلى المكان الذي خرجت منه أمه ، بهداية من الله سبحانه وتعالى ، يقطع آلاف الأميال في المحيطات وفي البحار حتى يعود إلى المكان الذي جاءت منه أمه ، من الذي هداه؟! إنه الله سبحانه وتعالى.

وهذا حيوان من الحيوانات إذا أراد أن تضع أمهاته البيض تموت بعد البيض مباشرة ، فإذا بها تأتي إلى قطع الخشب وتحفر فيه حفرةً مستطيلة ، ثم تجعل في تلك الحفرة من الخشب بعض الأطعمة من الأوراق السكرية ،

(١) طه : ٤٩ - ٥٠ .

(٢) الأعلى : ١ - ٣ .

وبعض طلع الأشجار ، وتكبسه في ذلك المكان ، ثم تضع بجواره بيضةً واحدة ، ثم تغلق عليه بغطاءٍ ، ثم تموت بعد أن تضع بيضتين وثلاثاً وأربعاً ، ثم يخرج هذا الحيوان الصغير من تلك البيضة ، ويعيش على هذا الطعام سنةً كاملة ، وهو يتغذى عليه ، فمن الذي علّم هذه؟! ومن الذي هداها لأنّ تجمع طعاماً لسنة؟! وكيف كفى السنة؟! إنه الله تبارك وتعالى.

ومن الذي علّم الجراد الذي يمكث في شقوقه في بعض الأماكن سبع عشرة سنة متتابعة متتالية، ويظهر بعد مرور سبع عشرة سنة في وقته المحدّد ، وفي يومه المحدّد، وفي تاريخه المحدّد ، يظهر بمئات الملايين ، فمن الذي عرفه وعلّمه مواعده وتاريخه؟! إنه الله سبحانه وتعالى ، هو الذي هداه { قَدَّرَ فَهَدَى } .

وهناك أيضاً : الحيوانات المنوية التي تخرج من الذكر ، وكيف تُلقح بويضة الأنثى بطريقة فيها الهداية العجيبة ، تخرج الملايين الملايين ولا تتلقح من هذه الملايين إلا واحدة ، هي التي حملت الصفات الوراثية للأب وللأم ، يختارها الله ويهديها الله سبحانه وتعالى ، فتقسم انقسامات متتالية متتابعة عظيمة وكبيرة جداً ، حتى يتطور هذا الإنسان من طورٍ إلى طور ، علقة فمضغة فعظام ، { فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا }^(١) ، فإذا به إنسان كامل الخلق جميل المنظر !! من الذي هداه؟! إنه الله سبحانه وتعالى.

(١) المؤمنون : ١٤ .

جاء عالم أمريكي يريد أن يُفَرِّخَ بيضَ الدجاجة بالأجهزة الحديثة فقال له أحد الفلاحين: عليك أن تقلب البيض بين كل فترة وأخرى، قال: ولماذا؟! قال: لأني رأيت الدجاج تفعل ذلك. قال: الدجاجة تفعل ذلك حتى تجعل مستوى الحرارة في كل مكان من أماكنها وجوانبها، أما أنا فأضع الجهاز، وهو يضبط الحرارة من كل جوانبها. فوضع الجهاز، ووضع البيض، وجاء وقت التفقيس ولم تفقس البيضة، وكرر مرةً ثانية وثالثة ولم تفقس البيضة، فلما استمع إلى نصيحة الفلاح، أو بالأحرى إلى تقليد الدجاجة، وقلَّب البيض، فإذا بها تفقس، فمن الذي هدى الدجاجة إلى أن تقلب البيض؟! فلولا هذا التقليب الذي يتوازن، وتتوازن فيه الكائنات والمكونات التي خلقها الله في هذه البيضة، لولا هذا التقليب لما فقس تلك البيضة، فمن الذي هدى الدجاجة؟! إنه الله سبحانه وتعالى. وهو الذي هدى الطيور، وهو الذي هدى الأسماك.

فهذه الهداية هي هداية عامة، وهي هداية الله سبحانه وتعالى الخلق لما فيه صلاحهم ومعاشهم.

وأما الهداية الخاصة: فهي الهداية إلى الحق، إلى الدين، إلى الإسلام والإيمان، وهي بيد الله **U** أيضاً، لا يشاركه فيها أحد، قال **U**: { قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَّ فَمَا لَكُمُ كَيْفَ تَحْكُمُونَ }^(١)، وقال **U** لنبيه **e**: { قُلْ إِنِّي

(١) يونس: ٣٥ .

هَدَيْتَنِي رَيْفًا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا { (١) وقال U لحبيبه

محمد e : { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } (٢) .

وقال U : { مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } (٣) .

وقال تعالى : { قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (٤) .

وقال سبحانه : { وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (٥) .

وقال تعالى : { فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } (٦) .

فهذه الهداية بيد الله U وحده ، وهنا نقف وقفة مهمة ، وهي أن المراد

بهذه الآيات : { فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } يعني بعلمه ؛ كما

قال U : { وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ } (٧)

فهذا علم الله U ؛ كما يقول المدرس في فصله : أن هذا الطالب الفلاني

راسب في مادته ودرسه ، فهل نقول : أن هذا المدرس يعلم الغيب ، فإذا

جاء الامتحان ورسب الطالب نقول : المدرس يعلم الغيب !! لا ولكن

(١) الأنعام : ١٦١ .

(٢) القصص : ٥٦ .

(٣) الأعراف : ١٧٨ .

(٤) البقرة : ١٤٢ .

(٥) الحج : ٥٤ .

(٦) إبراهيم : ٤ .

(٧) الأنفال : ٢٣ .

المدرس بخبرته وبمعرفته بهذا الطالب أنه لا يذاكر ولا يجتهد ودائم اللعب ...
 إلخ قال: إنه لن ينجح. فهذا ليس علماً بالغيب، وإنما خبرةٌ ودراية. والله المثل
 الأعلى؛ فالله **U** هو الذي خلق الخلق، وهو أخبرٌ بهم سبحانه وتعالى،
 بل هو بكل شيء محيط، يعرف حديث الإنسان مع نفسه، يعرف ماضيه،
 ويعرف مستقبله، ويعرف ماذا سيكون حاله، فالله **U** علم أن فلاناً من
 الناس سيكون من أهل الشقاوة والعياذ بالله **U**، فقال: هو شقيٌّ — بعلمه
 سبحانه وتعالى — ، وذاك الذي سلك طريق الهداية، قال الله **U**: إنه من
 أهل الهداية أيضاً بعلمه سبحانه، لأن الله يعلم أنه سيسلك طريق الهداية.
 فعلى المسلم أن يطلب هذه الهداية من الله تبارك وتعالى .

من أسباب الهداية :

ما هي الصفات التي تؤهلنا لنكون من المهتمدين ؟

قبل أن يقول الواحد لأخيه : ادع الله لي بالهداية ؛ أولاً عليه أن يسلك
 طريق المهتمدين ، فما هي الصفات التي تجعلنا من المهتمدين ؟
أول هذه الصفات: الإيمان بالله تبارك وتعالى ، أن تُصدّق تصديقاً جازماً
 ليس فيه شك بوجود الله **U** وأنه هو الخالق الرازق أنه هو المبدع ، وأن
 تؤمن بكل أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى ، وأن تعبدته حق عبادته قال **U** :
 { وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ }^(١) ، وقال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

(١) التغابن : ١١ .

الضَّلَاحَتِ يَهْدِيهِمْ رُؤُوسُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ }^(١) فبقدر معرفتك بالله ، بقدر ما تكون الهداية في قلبك .

ومن هذه الصفات أيضاً: المجاهدة للنفس ، أولاً: بترك المحرمات ، ولا يمكن أن تترك المعصية هكذا بسهولة ، ولكن لا بد من التعب والجهد والمشقة حتى تصرف نفسك الأمارة بالسوء عن تلك المعاصي ، وكذلك لأبد من المجاهدة حتى تُطِيعَ الله U وتؤدِّي الفرائض ، هل يظن إنسان أنه إذا جاء إلى المسجد أن هذا لا يحتاج إلى مجاهدة ، بلى يحتاج إلى مجاهدة ، يحتاج إلى بعد عن المغريات ، يحتاج إلى قوة إيمانية حتى يخرج ويترك الدنيا ، ويأتي إلى بيت الله U ، فيصلي بين يدي الله تبارك وتعالى ، قال U: { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا }^(٢) أما أن لا تتعب ولا تجاهد ولا تبذل وتطلب من الله أن يهديك !!، فليس ذلك بطريق صحيح للهداية أبداً، بل عليك إذا أردت الهداية أن تسلك طريقها ، وتجاهد نفسك في ترك المحرمات، وفي فعل الطاعات، حتى يهديك الله تبارك وتعالى.

ومن الصفات التي تقودك إلى الهداية: الصبر واليقين ، قال U: { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ يَا أُمَّرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَابِدِنَا يُوَقِّتُونَ }^(٣) لما جمعوا بين الصبر واليقين أكرمهم الله U بالهداية ، أكرمهم بأن جعلهم هادين مهدين ، فإذا أردت طريق الهداية فعليك بالصبر ، وعدم الجزع ،

(١) يونس : ٩ .

(٢) العنكبوت : ٦٩ .

(٣) السجدة : ٢٤ .

وعدم السخط مما أصابك من مصيبة أو من بلية ، أو من أمرٍ صعبٍ لا تتحملة نفسك ، عليك بالصبر ، فهذا الصبر يكون سبباً لهداية الله U لك إن شاء الله.

ومنها أيضاً: الاعتصام بجبل الله U ، قال تعالى: { وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (١) تعتصم ؛ تتمسك وتثبت في المحافظة على الصلوات والطاعات والعبادات.

ومنها أيضاً: طاعة الرسول ﷺ واتباع سنته واتباع هديه ، قال U : { قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا } (٢).

ومنها: خشية الله U ، قال U : { فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَإِلَيْمَ يَعْمَى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } (٣).

فهذه بعض الصفات ، إن اتصف بها المسلم ، وجاهد واجتهد فيها، وفقه الله U واختاره لهذه الهداية ، لأن الهداية اختيار واصطفاء واجتباء من الله تبارك وتعالى ، والثبات عليها أصعب منها ، ولذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام يُكثر أن يقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) (٤).

(١) آل عمران : ١٠١ .

(٢) النور : ٥٤ .

(٣) البقرة : ١٥٠ .

(٤) رواه الترمذي (٢١٤١) وقال : حديث حسن صحيح .

ومن ابتعد عن هدى الله فقد اقترب من الهوى ، والفرق بين الهوى والهدى حرف واحد !!.

قال U : { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيًا هُدًى مِنَ اللَّهِ }^(١) . بمعنى : من سلك طريق هدى الله تبارك وتعالى فقد ابتعد عن الهوى ، ومن ابتعد عن الهدى فقد وقع في الهوى ، والعياذ بالله U .

المخرومون من الهداية :

أما الذي حرمه الله تبارك وتعالى من الهداية والعياذ بالله U ، فهو من اتصف بصفات منها :

الكفر — والعياذ بالله U — ؛ قال تبارك وتعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }^(٢) .

ومنها : الظلم ؛ قال U : { وَمَنْ يَتَوَكَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }^(٣) ، لا يمكن أن يسلك إنسان ظالم طريق الهداية ، ويهديه الله تعالى طالما أنه مستمر على ظلمه متمسك به ؛ وقال U : { إِنَّ الَّذِينَ

(١) القصص : ٥٠ .

(٢) المائدة : ٦٧ .

(٣) المائدة : ٥١ .

كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿١﴾ .

ومنها: الفسق ؛ والفسق هو الخروج عن طاعة الله، وارتكاب المحرمات، قال U : { وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } (٢) فمن كان مبتلى بذلك فعليه أولاً : أن يُخَلِّصَ نفسه من هذا الفسق ، ثم يُقْبَلِ على ربه تبارك وتعالى حتى يهديه U .

ومنها: الخيانة ؛ قال U : { وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ } (٣) .

ومنها : الكذب ؛ قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ } (٤) .

ومنها: الإسراف؛ قال U : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ } (٥) مسرف على نفسه بارتكاب الذنوب والمعاصي والعياذ بالله U . فكل هؤلاء حرمهم الله تبارك وتعالى من الهداية ، ومن لم يهتد في الدنيا إلى صراط الله المستقيم ، فلن يهديه الله U يوم القيامة إلى الصراط الذي

(١) النساء : ١٦٨ - ١٦٩ .

(٢) المائدة : ١٠٨ .

(٣) يوسف : ٥٢ .

(٤) الزمر : ٣ .

(٥) غافر : ٢٨ .

يقوده إلى الجنة ، لأن صراط الله المستقيم مضروب على جهنم ، وهو الطريق إلى الجنة ، فمن سلك طريق الله المستقيم في هذه الحياة الدنيا ، فإنه علامة بإذن الله على أنه سيسلك الصراط المستقيم إلى الجنة ، وإلى رضوان الله تبارك وتعالى .

المقصود بـ " الصراط المستقيم " :

قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله : (أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً ، على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه) (١) .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : (اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط ، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد ، وهو المتابعة لله وللرسول e ، فروي :

- ١ - أنه كتاب الله : جاء ذلك عن علي مرفوعاً وموقوفاً، والموقوف أشبهه .
- ٢ - وقيل : إنه الإسلام ؛ جاء ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وجابر .
- ٣ - وقيل : إنه الحق ؛ وجاء ذلك عن مجاهد .
- ٤ - وقيل : إنه النبي e وصاحبه من بعده ؛ وجاء ذلك عن أبي العالية، ووافقه الحسن) (٢) .

(١) " تفسير الطبري " (١ / ١٧٠) .

(٢) " تفسير ابن كثير " (١ : ١٦٠ - ١٦٢) بتصرف .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : (وكلُّ هذه الأقوال صحيحة ، وهي متلازمة ، فإن من أتبع النبي ﷺ واقتدى باللذنين من بعده: أبي بكر وعمر ، فقد أتبع الحق ، ومن أتبع الحق فقد اتبع الإسلام ، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن ، وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم ، فكلُّها صحيحة يصدق بعضها بعضاً ، والله الحمد) (١).

بيان نبوي للصراف المستقيم :

في الحديث النبوي الصحيح عن ابن مسعود **t** قال : خط لنا رسول الله ﷺ خطأ وقال : (هذا سبيل الله) ، ثم خط خطوطاً عن يمينه ويساره وقال : (هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه) ، ثم قرأ قول الله تعالى : { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ } (٢) .

وهنا نتعلم من رسول الله ﷺ أسلوب الدعوة الحكيم ، ما كان يكتفي بالدعوة الكلامية باللسان، بل كان يستعمل اللسان، ويستعمل الحركات، ويستعمل الرسوم والكتابة ، حتى يُعَلِّم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم .

فهنا الرسول عليه الصلاة والسلام يُعَلِّم أصحابه بالرسم ، فيخط لهم خطأ على الأرض . ويقول : (هذا سبيل الله) ثم خط خطوطاً عن يمينه

(١) " تفسير ابن كثير " (١ : ١٦٢) .

(٢) رواه البخاري (٦٤١٧) ، والترمذي (٢٤٥٦) ، والآية من سورة (الأنعام : ١٥٣) .

وعن شماله وقال : (هذه سبل) طرق (على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه) هذا صراط الله المستقيم لا اعوجاج فيه ، واضح بين لكل صاحب عقل ، ليس فيه اعوجاج ، ولا ميل ، ولا زيغ ، ولا ضلال ، وهذه طرق الشيطان ، وسبل الشيطان .

فطريق الله واحد ، وسبل الشيطان كثيرة ، يتيه فيها الإنسان ، فمن اتبع سبل الشيطان تاه وضاع واختل ؛ لأن أمامه سبلاً كثيرة ، ولكن من اتبع سبيل الله اهتدى واطمئن وارتاح ، لأنه سبيل واحد ، ثم قرأ قول الله تبارك وتعالى : { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } صراط الله المستقيم ، هو الصراط الموصل إلى رضوان الله ، هو الصراط الذي يؤدي بك إلى جنّة عرضها السماوات والأرض ، فهو الصلة بينك وبين ربك سبحانه وتعالى .

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود **t** ، عن النبي **e** قال : (ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مُفْتَحَةٌ وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعند رأس الصراط داع يقول : استقيموا على الصراط ولا تعوجوا وفوق ذلك داع كلما همّ عبداً أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال : " ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه " ، ثم فسّره فأخبر أنّ (الصراط : هو الإسلام ، والستور المرخاة : حدود الله ، والأبواب المفتوحة : محارم الله ، والداعي على رأس

الصراط : هو القرآن ، والداعي من فوقه : هو واعظ الله في قلب كل مؤمن (١) .

والصراط تارة يُنسب إلى الله تعالى كما في قوله سبحانه : { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي

مُسْتَقِيمًا } (٢)، وقوله تعالى : { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } صِرَاطُ اللَّهِ

الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } (٣) .

وتارة يُنسب إلى عباده الصالحين الذين أنعم الله عليهم بالهداية ؛ كما في

قوله تعالى : { أَهْدَيْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } ونسب الصراط إليهم ؛ لكونهم أهل

سلوكه ، وهو المنسوب إليهم، وهم المارون عليه .

وقوله تعالى : { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لَرَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ

وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (٤) .

وهذا المثل ضربه الله U للذين يعبدون الأصنام ، والذين يعبدون الله ،

فالذين يعبدون الأصنام كأنما يعبدون أبكم أصم لا ينفعهم ولا يضرهم ،

(١) رواه أحمد (٤ : ١٨٣) وقال المنذري في الترغيب : رواه البزار مختصراً بإسناد

حسن ، وهو عند الترمذي (٢٨٥٩) من حديث النواس بن سمعان t ، وقال

الترمذي : حديث حسن غريب .

(٢) الأنعام : ١٥٣ .

(٣) الشورى : ٥٢-٥٣ .

(٤) النحل : ٧٦ .

وليس بيده شيء ، ومن عبد الله تبارك وتعالى ، فهو الذي يأمر بالعدل وهو على صراطٍ مستقيم ، وقيل هو رسول الله ﷺ ، يعني : هل يستوي هو والرسول ﷺ الذي يأمر بالعدل وهو على صراطٍ مستقيم .

والله U على صراطٍ مستقيم ؛ كما جاء في قوله تعالى : { مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } ^(١) ، فالله U على صراطٍ مستقيم ، في قوله وفعله ، فقوله صدق ورشدٌ ونصحٌ وهدى ، وفعله حكمةٌ وعدلٌ ورحمةٌ ومصالحةٌ .

والله U متكفلٌ ببيان هذا الصراط ، قال الله تعالى : { قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } ^(٢) ، قيل في تفسير هذه الآية : هذا صراطٌ إليّ مستقيم ، أي : موصلٌ إليّ ، وإلى رضواني وإلى الجنة .

وقيل : { قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } بمعنى : هذا صراطٌ عليّ بيانه وتوضيحه للناس ، وكذلك قول الله U { وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ } ^(٣) فيها القولان والمعنيان جميعاً .

فمن سار على صراط الله المستقيم فهو مع الله U ، وأكرم بها من معية ، ومن سار على سبيل الشياطين فهو معهم والعياذ بالله .

(١) هود : ٥٦ .

(٢) الحجر : ٤١ .

(٣) النحل : ٩ .

النبي e يرشد إلى الصراط المستقيم :

قال الله U : { الرَّكِيْبُ أَقْرَبُ إِلَيْكَ يُخْرِجُ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيْزِ الْحَمِيْدِ } (١) .

وقال سبحانه : { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيْمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيْرُ الْأُمُورِ } (٢) .

وقال U : { يَسَّ وَالْقُرْءَانَ الْحَكِيْمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِيْنَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ } (٣) .

الشیطان يريد إبعاد الإنسان عن الصراط :

والشیطان الرجيم لا يدع الإنسان سائراً على صراط الله المستقيم ، بل لا بد أن يأتيه حتى يعوجه عن هذا الصراط ، كما قال U : { قَالَ فِيمَا نُغْوِيْنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيْمَ ﴿٥٢﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِيْنَ } (٤) لأنه الصراط الموصل إلى الجنة، وإلى رضوان الله U ، فالسعيد من ثبت على صراط الله تبارك وتعالى ، والشقي من انحرف والعياذ بالله U من ذلك .

(١) إبراهيم : ١ .

(٢) الشورى : ٥٢ - ٥٣ .

(٣) يس - : ١ - ٤ .

(٤) الأعراف : ١٦ - ١٧ .

وهذا الصراط إما أن يكون المسلم مستقيماً عليه ، وإما أن يكون على سبل الشيطان ، لا يمكن أن يكون على الخير وهو على غير الصراط ، قال الله **U** : { أَفَنَ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (١) ، معادلة : تعادل وتختار وترجح ؛ أيهما أفضل ؟ أن يسير المسلم على صراط الله المستقيم ؟ ، أو يسير على طريق الشيطان والعياذ بالله **U** ؟ ، فشبه من يسير على طريق الرحمن بالذي يرى وييصر ويرفع رأسه ، والذي يسير على طريق الشيطان بالمنكب الذي لا يبصر الطريق الذي أمامه ، وإنما يمشي على غير هدى ، فهو يضرب يميناً وشمالاً لا يبصر الطريق الواضح ، فمن الذي على الخير ؟! هل الذي يسير وهو لا يعرف أين الطريق ؟! أم الذي يسير وهو يعرف أنه على طريق مستقيم ؟!

وقال **U** : { يُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } فإما ظلمات وإما نور على صراط الله المستقيم .

وقال سبحانه وتعالى : { وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُورًا وَكُفِّرُوا بِالظُّلْمَةِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يَضِلُّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (٢) .

وسماه الله تعالى صراطاً مستقيماً لمعان كثيرة ؛ منها : أنه ليس فيه اعوجاج . ومنها : أنه يحتاج إلى الاستقامة دائماً ، لا ينفع أن يكون الإنسان على الصراط المستقيم ، ثم يخرج ، ثم يعود مرةً أخرى ، فالصراط المستقيم يحتاج إلى الاستقامة ، والاستقامة تحتاج إلى الدوام . وإلى المداومة ،

(١) الملك : ٢٢ .

(٢) الأنعام : ٣٩ .

جعلنا الله **U** من أهل الاستقامة ، فإذا استقامت على صراط الله المستقيم في الدنيا ، ثبت الله قدميك على صراط الله **U** يوم القيامة .

وصف نبوي لصراط جهنم :

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري **t** أنه قال : (بلغني أن الجسر — أي: الصراط — أدقُّ من الشعر وأحدُّ من السيف) (١) .

وروى الشيخان عن النبي **e** في حديث الشفاعة الطويل : (... ثم يضرب الصراط بين ظهراي جهنم) جهنم من أسفل ، والصراط مضروب عليها ، والمرور من فوقها (فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته) وهذا تكريم من الله لرسوله **e** (ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل) من شدة الهول والفرع ، ومن عظم ما يرون من أمر الصراط وجهنم والعياذ بالله (وكلام الرسل يومئذ : اللهم سلِّم سلِّم ، وفي جهنم كالليب من شوك السعدان ، هل رأيتم شوك السعدان ؟) قالوا : نعم ، قال : (فإنها مثلها غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تخطف الناس بأعمالهم) (٢) .

وفي رواية مسلم : (فيمر المؤمن كطرف العين ، وكالبرق ، وكالريح ، وكالطير ، وكأجاود الخيل والركاب ، فجاج مُسلِّم ومخدوش مرسل ،

(١) رواه مسلم (١٨٣) .

(٢) رواه البخاري (٦٥٧٣) ، ومسلم (١٨٢) .

ومكدوس في نار جهنم (١). ومكدوس في النار ، أي : يتكدر بعضهم فوق بعض والعياذ بالله U ، وهذا الذي زاغ عن صراط الله U في الدنيا ، واستهزأ بصراط الله المستقيم ، واستهزأ بالدين والقرآن والإسلام ، وسخر من أهل الإسلام، والعياذ بالله U، فلا يتحمل أن يسير على الصراط شيئاً ، بل يهبط والعياذ بالله U في نار جهنم .

وعند أبي داود أن عائشة رضي الله عنها ذكرت النار فبكت ، فقال الرسول e : (وما يبكيك ؟) ، قالت : ذكرت النار فبكيته ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال : (أما في ثلاثة مواطن ، فلا يذكر أحدٌ أحداً : عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل ؟! ، وعند الكتاب حتى يُقال : { هَذَا وَمُأَقْرَأُ وَكِتَابَةٌ } (٢) حتى يعلم أين يقع كتابه : أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره ؟! ، وعند الصراط إذا وُضع بين ظهري جهنم) (٣) .

بعض ما يعين على جواز الصراط :

لقد علّمنا النبي e بعض الأمور والعبادات ، إذا فعلناها أعاننا الله على الصراط ويسّر لنا المرور عليه ، وأعاننا على جوازه .

(١) رواه مسلم (١٨٣) .

(٢) الحاقة : ١٩ .

(٣) رواه أبو داود (٤٧٥٥) .

فمن أراد الجواز على الصراط ، سار على صراط الله المستقيم في الدنيا ،
وهذه بعض الأعمال الصالحة المعينة على الجواز على الصراط :

١ - ملازمة بيوت الله تعالى ، ففي الحديث عن أبي الدرداء **t** قال :
سمعت النبي **e** يقول : (المسجد بيت كل تقي ، وقد ضمن الله **U** لمن
كان المسجد بيته ، بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله
وإلى الجنة) ^(١) . وليس معنى (المسجد بيته) : أن ينام ويأكل ويشرب في
المسجد ، ولكن : كما يحن قلبه إلى بيته ، ويرتاح في بيته ، ويسكن
وتطمئن نفسه في بيته ، كذلك يجب الذهاب إلى المسجد ، ويرتاح قلبه
وروحه عندما يدخل إلى المسجد .

وعن أبي هريرة **t** قال : سمعت رسول الله **e** يقول : (سبعة يظلمهم الله
في ظله يوم لا ظل إلا ظله) وذكر منهم (ورجل قلبه معلق بالمساجد) ^(٢) .

٢ - مُسَامحة النادم ، وإقالته في بيعه أو عشرته ، فعن أبي هريرة **t** قال :
قال رسول الله **e** : (من أقال مسلماً بيعته ، أقاله الله عشرته يوم القيامة)
وفي رواية لابن حبان (من أقال مسلماً عشرته أقاله الله من عشرته يوم
القيامة) ^(١) فمن أقال مسلماً أقال الله عشرته يوم القيامة ، ورحمه الله من
السقوط في نار جهنم ، وثبته على الصراط .

(١) رواه الطبراني في " المعجم الكبير " (٦١٤٣) وقال المنذري في الترغيب (٤٩٤) :
رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، والبخاري وقال : إسناده حسن ، وهو كما قال
رحمه الله . ا.هـ .

(٢) رواه البخاري (٦٦٠) ، ومسلم (١٠٣١) .

٣- قضاء حوائج المسلمين ، والشفاعة لهم ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : (... ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام) (٢) .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : (من كان وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في مبلغ برٍّ أو تيسير عسير ، أعانه الله تعالى على إجازة الصراط يوم القيامة عند دحض الأقدام) (٣) .

#

(١) رواه أبو داود (٣٤٦٠) ، وابن ماجه (٢١٩٩) ، وابن حبان (٥٠٠٧) - (٥٠٠٨) ، والحاكم (٤٥ / ٢) وقال : صحيح على شرطهما . ومعنى " أقال " : أي وافق على نقض البيع إذا ندم وأحب أن يتراجع . وفي رواية لأبي داود في المراسيل : (من أقال نادماً أقاله الله نفسه يوم القيامة) .

(٢) تقدم تخريجه صـ (٦٣) هامش (٣) .

(٣) " صحيح ابن حبان " (٥٣١) ، و " المعجم الصغير للطبراني " (٥٤١) . وقال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (١٩١ / ٨) : رواه الطبراني في الأوسط والصغير ، وفيه إبراهيم بن هشام النسائي ، وثقه ابن حبان وغيره ، وضعفه أبو حاتم وغيره . ا.هـ.

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

قوله تعالى : { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } الصراط في هذه الآية معطوف على الصراط المستقيم الوارد في الآية التي قبلها ؛ وهو بدل منصوب من الصراط كما يقول علماء اللغة .

وكلامنا في هذا الموضوع من الآية ، يدور حول ثلاثة أمور :

- (١) المنعم ، حتى نشكره ، ونتقرب إليه ، ونحبه ، ونعظمه .
- (٢) والنعمة ، حتى نحافظ عليها ، ونعرف قدرها ، ولا نفرط فيها .
- (٣) والمنعم عليهم ، حتى نقتفي آثارهم ، ونسير على دربهم ، عسى أن نكون منهم .

(١) أما المنعم : فهو الله سبحانه وتعالى ، ونسب جميع النعم إليه سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى : { وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ } (١) ، وهذه الآية شملت كل النعم التي يتنعم بها الإنسان في الدنيا والآخرة ، وبَيَّنَّتْ أن مصدرها ومبدأها واحد ، وهو الله وحده سبحانه .

وقال سبحانه أيضاً : { وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } (٢) ، والآية الأخرى : { وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ بِمَا تَعْمَلُونَ كَفَارٌ } (١) .

(١) النحل : ٥٣ .

(٢) النحل : ١٨ .

وقال جل وعلا : { أَفِينِعْمَةَ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } (٢) .
 وقال تبارك وتعالى : { وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ } (٣) .
 وقال الله تعالى : { فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهَمُ سُوءٌ } (٤) .
 فالنعمة مبدؤها ومصدرها ومنشؤها من الله **U** ، وهذا أمر عظيم ومهم ،
 ينبغي للمسلم أن يعرف أن النعمة آتية إليه من الله تبارك وتعالى حتى يشكره
 بعد ذلك .

(٢) النعمة : وأما النعمة الواردة في هذه الآية فهي نعمة الإسلام
 والدين ، كما في قوله تعالى : { أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
 وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } (٥) ، فسَمَّى اللهُ سبحانه وتعالى الإسلام والدين
 نعمةً ، وسَمَّى النعمة إسلاماً وديناً .

وعن الحسن قال : سمع النبي **e** رجلاً يقول : " الحمد لله على نعمة
 الإسلام " فقال **e** : (إنك لتحمد الله على نعمة عظيمة) (٦) .
 إذاً : نعمة الإسلام هي أعظم النعم كلها ؛ أعظم من نعمة الصحة
 والعافية ، ومن نعمة المال ، ومن نعمة الأولاد ، ومن كل النعم ؛ لأنها هي

(١) إبراهيم : ٣٤ .

(٢) النحل : ٧١ .

(٣) الإسراء : ٨٣ .

(٤) آل عمران : ١٧٤ .

(٥) المائدة : ٣ .

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر (٩) .

التي رفعت من قدرنا ، فقد كان آباؤنا وأجدادنا في جزيرة العرب يعبدون الأصنام ، فشفرفنا الله تبارك وتعالى بهذا الدين ، كانوا يسجدون للأوثان والأحجار والأشجار ، فشفرفك الله وكرمك سبحانه وتعالى وما جعلك تسجد ل حجر ولا لشجر ولا لبشر ، وإنما جعلك تسجد لله **U** ، وإذا استعنت والتجأت رفعت يدك وبصرك إلى السماء، تلجأ إلى القوة العظيمة، إلى قوة الله تبارك وتعالى.

نعم ! قد لا يشعر الإنسان بهذه النعمة ، نعمة الإسلام ، إلا عندما يرى الكفار الذين تنوعوا في عبادتهم ، فهذا يعبد الصنم والحجر ، وذاك يعبد البهائم ؛ يعبد البقر، والآخر يعبد الأشجار ، والآخر يعبد الشمس والقمر ، والآخر يعبد الحشرات ؛ عندما يرى الإنسان أولئك الناس الذين انحطت عقولهم وأفكارهم إلى هذا المستوى ، يشعر بنعمة الله **U** عليه ، وأن الله كرمه من دون البشر أجمعين بهذه النعمة العظيمة ، ألا وهي نعمة الدين ، ونعمة الإسلام ، وهي التي تعتقك من عذاب الله **U** يوم القيامة ، وهي التي تخلدك في جنة عرضها السماوات والأرض ، وهي التي تكتب لك الفوز الكبير العظيم يوم القيامة . إذا أعظم نعمة هي نعمة الإسلام التي أكرمنا الله تبارك وتعالى بها .

وقال تعالى: { وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (١) ،
يعني : ومن يبدل الدين والإسلام الذي جاءه من الله U ، فإن الله شديد
العقاب .

وقال جل وعلا : { وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا } (٢) أي : بالإسلام والدين .
وقال تبارك وتعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا } (٣) ،
فجعل نعمة الله مقابل الكفر ، ونعمة الله هي الإسلام ، والإسلام يقابله
الكفر .

وقال سبحانه : { أَفِي الْبَطَلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ } (٤) .

وقال U : { وَأَمَّا نِعْمَةَ رَبِّكَ فَحَدِّثْ } (٥) .

وقال سبحانه : { يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا } (٦) .

وقال تعالى : { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا
رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا
كَانُوا يَصْنَعُونَ } (١) .

(١) البقرة : ٢١١ .

(٢) آل عمران : ١٠٣ .

(٣) إبراهيم : ٢٨ .

(٤) النحل : ٧٢ .

(٥) الضحى : ١١ .

(٦) النحل : ٨٣ .

(٣) المنعم عليهم : وأما الذين أنعم الله تعالى عليهم، وهم المقصودون في هذه الآية { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } ، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } طريق من أنعمت عليهم ، من الملائكة والنبیین والصديقين والشهداء والصالحين الذين أطاعوك وعبدوك (٢) .

كما في قوله U : { وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا } (٣) .

وأما سبب نزول هذه الآية فقد روى ابن جرير بسنده عن سعيد بن جبير قال : (جاء رجلٌ من الأنصار إلى رسول الله e وهو محزونٌ ، فقال له النبي e : (يا فلان مالي أراك محزوناً ؟) فقال : يا نبي الله ، شيءٌ فكَّرتُ فيه . فقال : (ما هو ؟) ، قال : نحن نعدو عليك ونروحُ ، ننظُرُ إلى وجهك ، ونجالسك ، وغداً تُرفع مع النبيين فلا نصلُ إليك . فلم يردَّ عليه النبي e شيئاً ، فأتاه جبريل بهذه الآية : { وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا } فبعث النبي e إليه فبشَّره (٤) .

(١) النحل : ١١٢ .

(٢) " تفسير الطبري " (١ / ١٧٧) .

(٣) النساء : ٦٩ .

(٤) " تفسير الطبري " (٧ / ٢١٣ ، ٢١٤) .

وفي رواية : " إنك لأحبُّ إليَّ من نفسي ، وأحبُّ إليَّ من أهلي ، وأحبُّ إليَّ من ولدي ، وإني لأكون في البيت ، فأذكرك ، فما أصبر حتى آتيك ، فأنظر إليك ، وإذا ذكرتُ موتي وموتك ، عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين ، وإن دخلتُ الجنة خَشيتُ أن لا أراك " . فلم يرد عليه النبي e ، حتى نزلت عليه : { وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ...الآية } (١) .

النبوة والأنبياء :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله e يقول : (ما من نبي يمرض إلا يُخَيَّر بين الدنيا أو الآخرة) وكان في شكواه التي قبض فيها أخذته بحمة شديدة ، فسمعتة يقول : { مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ } فعلمت أنه خيَّر (٢) .
النيبون لغةً : من النبا وهو الخبر ، أي أن الله تعالى يُنبئُ النبيَّ ويخبره ويوحى إليه ، أو من النبوة : وهي المكان المرتفع ؛ لرفعة شأنهم ومكانتهم عند الله تعالى .

وفي الشرع : هم من أوحى الله إليهم بشرع ، ولم يؤمروا بتبليغه ، وإنما تشريف لهم واصطفاء، والرسول أنبياءٌ كذلك غير أنهم أُمروا بتبليغ رسالتهم.

(١) انظر " تفسير ابن كثير " (٢ / ٩٦٤) ، و" المعجم الصغير " (٢٦ / ١) .

(٢) رواه البخاري (٤٤٣٥ ، ٤٤٦٣) ، ومسلم (٢٤٤٤) .

أما عددهم : فقد رُوِيَ عن أبي ذرٍّ **t** في حديث طويل ، قال : قلت يا رسول الله : كم الأنبياء ؟ قال : (مئة ألفٍ وعشرون ألفاً) . قلت : يا رسول الله ، كم الرسل من ذلك ؟ قال : (ثلاث مئة وثلاثة عشر جمًّا غفيراً) (١) .

والذين ورد ذكرهم في القرآن خمسةً وعشرون رسولاً فقط ، عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه .

وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو **t** ، أن النبي **e** قال : (من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه) (٢) .

وعن معاذ **t** قال : سمعت رسول الله **e** يقول : قال الله **U** : (المتحابون في جلالي لهم منابر من نورٍ يغطهم النبيون والشهداء) (٣) .

الصديقون والشهداء :

والصديقية : مرتبةٌ بعد النبوة ، وهي من شدة التصديق ، من شدة الإيمان الذي لا يخالجه شك؛ ليس فيه أدنى شك ، وهي مرتبة سامية عالية ،

(١) رواه ابن حبان (٣٦١) ، وقال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف جداً . والحديث رواه أحمد مختصراً (١٧٨ / ٥ ، ١٧٩) رقم (٢١٥٤٦) ، (٢١٥٥٢) وقال محققو المسند : إسناده ضعيف جداً .

(٢) رواه الحاكم (٢٠٧٢) وقال : صحيح الإسناد . ورواه البيهقي في الشعب (٢٣٥٣) .

(٣) رواه الترمذي (٢٣٩٠) ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وقد وصف الله بها بعض أنبيائه ورسله ، وكذا وصف بها من آمنوا بأنبيائه ورسله ، قال تعالى : { يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ }^(١) ، وقال جل وعلا : { وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا }^(٢) ، وقال سبحانه وتعالى : { وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا }^(٣) ، وقال تبارك وتعالى : { وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ }^(٤) .

وقد سمى الله تبارك وتعالى مريم صديقة ، فقال تعالى : { وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ }^(٥) .
وسمى نبيُّ الله e صاحبه أبا بكر بالصديق لشدة تصديقه .

وعن عبد الله بن مسعود t ، قال : قال رسول الله e : (عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار ، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)^(٦) .

(١) يوسف : ٤٦ .

(٢) مريم : ٤١ .

(٣) مريم : ٥٦ .

(٤) الحديد : ١٩ .

(٥) المائدة : ٧٥ .

(٦) رواه البخاري (٦٠٩٤) ، ومسلم (٢٦٠٧) .

وأما الشهداء ، فعن أبي هريرة **t** قال : قال رسول الله **e** لأصحابه :
 (ما تعدون الشهيد فيكم ؟) قالوا: من قُتِلَ في سبيل الله فهو شهيد ، قال:
 (إن شهداء أمتي إذاً لقليل) . قالوا : فمن يا رسول الله ؟ قال :
 (من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ، ومن
 مات في الطاعون فهو شهيد ، ومن مات في البطن فهو شهيد)^(١) .
 وفي رواية : (والغريق شهيد، وصاحب الهدم شهيد، والحرق شهادة ،
 والنفساء يقتلها ولدها جمعاً شهادة) .
 وقال رسول الله **e** : (من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل
 الشهداء ، وإن مات على فراشه)^(٢) .

الصالحون :

هم عموم المؤمنين الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم ؛ هم الذين آمنوا
 وعملوا أعمالاً صالحاً يحبها الله جل وعلا ويرضاها ؛ كما في قول الله
 تعالى : { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ }^(٣) .

(١) رواه مسلم (١٩١٥) .

(٢) رواه مسلم (١٩٠٩) .

(٣) العنكبوت : ٩ .

وقد وصفَ اللهَ بعضَ أنبيائه ورسله بالصلاح ، كما وصفَ بذلك عباده المؤمنين كذلك .

قال تعالى : { وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ } ^(١) .
وقال جل وعلا أيضاً: { وَرَكَرَبًا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلُّ مِّنَ الصَّالِحِينَ } ^(٢) .
وقال سبحانه: { إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ } ^(٣) .
وقال تبارك وتعالى : { رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا } ^(٤) .

وقال جل وعلا : { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ } ^(٥) .

وقال سبحانه وتعالى : { وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ } ^(٦) .

وقال تبارك وتعالى : { وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ } ^(١) .

(١) آل عمران : ٤١ .

(٢) الأنعام : ٨٥ .

(٣) الأعراف : ١٩٦ .

(٤) الإسراء : ٢٥ .

(٥) الأنبياء : ٧٢ .

(٦) النور : ٣٢ .

#

(١) المنافقون : ١٠ .

(١٢٢)

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

قوله تعالى { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ } فبعد أن طلب من الله U الهداية إلى صراطه المستقيم ، استثنى وطلب الاستعاذة والبعد عن صراط المغضوب عليهم والضالين ، فالآية استثنتهم وأخرجتهم وأبعدتهم من صراط الله المستقيم .

من هم المغضوب عليهم ؟

والمغضوب عليهم : هم الذين حل عليهم غضب الله تبارك وتعالى ، وغضب الله ليس كغضب بني آدم ، ولو كان في الاسم واحداً ، ولكن غضب بني آدم فيه من الضعف ومن الحزن ومن الهم والغم ، ولكن غضب الله تبارك وتعالى ليس فيه شيء من ذلك ، لأنه سبحانه منزّه عن كل عيب وعن كل نقص ، والله تبارك وتعالى هو الكامل U ، فغضبه ليس كغضب بني آدم .

والمغضوب عليهم : هم الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به .

ومنهم اليهود ؛ فعن عدي بن حاتم **t** في حديث طويل قال : قال رسول الله **e** : (إن المغضوب عليهم : اليهود ، وإن الضالين : النصارى) (١) .

وقد ورد ذكر اليهود مقترناً بغضب الله في كثير من الآيات :

قال جل وعلا : { قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ } (٢) ، وهم اليهود الذين خالفوا أمر الله تبارك وتعالى ، والذين تحايلا على شرع الله **U** ، فكان أن حرم الله **U** عليهم الصيد يوم السبت ، فكانوا يأتون بشباكهم ويجعلونها يوم السبت ثم يأتون يوم الأحد فيأخذونها تحايلاً على شرع الله تبارك وتعالى ، فمسخهم الله قردهً وخنزير ، وغضب عليهم ، وحقَّتْ عليهم لعنة الله إلى يوم القيامة .

وقال سبحانه : { وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا وَيَغَضِبَ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } (٣) .

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٧٨/٤) رقم (١٩٣٨١) ، ورواه الترمذي مطولاً ومختصراً (٢٩٥٣ ، ٢٩٥٤) وقال : حديث حسن غريب .

(٢) المائة : ٦٠ .

(٣) البقرة : ٦١ .

هذه بعض أسباب غضب الله عليهم : الكفر بآيات الله U ؛ الآيات تنزل عليهم ، التوراة تقرأ عليهم ، وهم يكفرون ، يعني : لا يؤمنون بها ، ولا يصدقونها ، كما هو حال بعض المسلمين في هذه الأيام وللأسف الشديد ، الذين لا يصدقون شرع الله ، ولا يعترفون ولا يثقون بأحكام الله تبارك وتعالى ، فيصفون أحكام الشريعة الإسلامية الغراء بأنها أحكام قاسية وغير صالحة لهذا الزمان ، وهي أحكام ملك الملوك سبحانه وتعالى ، الذي هو أعلم بخلقه ؛ وهذا كفر بآيات الله تبارك وتعالى ، عدم ثقة في شرع الله ، عدم تطبيق لأحكام الله ، كل ذلك يدخل في هذا { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَاتِ اللَّهِ } ، { وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ } الذين يأتون بآيات الله ، كانوا يقتلونهم ؛ فقد نشروا زكريا ويحي بالمنشار ، وأرادوا قتل عيسى فرفعه الله تبارك وتعالى ، وكان دأبهم قتل الأنبياء ، لأنهم هم الذين ينقلون أوامر الله تبارك وتعالى إليهم .

وقال تبارك وتعالى : { ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلِيلُ أَنْ مَآ تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَعْضٍ مِنَ اللَّهِ } ^(١) ؛ وقال جل وعلا : { يَشْكُرُوا بِيَدِهِمْ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُ وَبَعْضٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ } ^(٢) ؛ كفروا

(١) آل عمران : ١١٢ .

(٢) البقرة : ٩٠ .

بنينا محمد **e** حسداً وبغياً ، لأن الله اختاره نبياً من بين العرب ، ولم يختره منهم .

قال عبد الله بن عباس **t** : غضب الله عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة وهي معهم ، وغضب عليهم مرة أخرى بكفرهم بهذا النبي محمد **e** الذي بعثه الله إليهم .

وقال سبحانه أيضاً : { إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعَجَلَ سَيْنَاهُمْ غَضِبُ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ } ^(١) ، بينت هذه الآية جريمة من جرائمهم ؛ وهي عبادتهم العجل من دون الله ، حيث زعموا أن العجل هو ربهم ورب موسى ، والعياذ بالله تعالى ، ولهذا استحقوا غضب الله تعالى عليهم .

وقال تعالى : { * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ } ^(٢) .

وقال سبحانه وتعالى : { يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْحَسِرُونَ } ^(٣) .

(١) الأعراف : ١٥٢ .

(٢) المجادلة : ١٤-١٦ .

(٣) المجادلة : ١٨-١٩ .

إذاً هذه الآيات بيّنت وأكّدت لنا أن اليهود من المغضوب عليهم ، وأن من اتصف بصفاتهم ، وتخلق بأخلاقهم التي ذكرها الله U ، ومنها : الافتراء على الله تبارك وتعالى ، والكفر بآيات الله ، وقتل الأنبياء ، ومعصية الله تبارك وتعالى ، والاعتداء على شرع الله U ؛ كل هذه الأمور ، وهذه الصفات ، من تخلق بها فقد عرّض نفسه لغضب الله تبارك وتعالى ، والمغضوب عليهم هم الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به ، واليهود : عرفوا الحق ولم يعملوا به ، وكذلك المسلم إن كان قد عرف الحق ؛ الإسلام والإيمان ، ثم تركه ولم يعمل به ، فهو من المغضوب عليهم ، لأنه عرف الحق ولم يعمل به .

أفعالٌ تؤدّي إلى غضب الله

(أ) في القرآن :

وردت بعضُ الآيات في كتاب الله تبارك وتعالى تبين لنا بعض الأعمال التي تؤدّي بمن عملها إلى غضب الله تعالى ، ومن تلك الأعمال :

١ - التوليُّ يوم الزحف : قال الله تعالى : { وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يُؤَمِّدْهُمْ ذُبُرَهُ إِلَّا الْمُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مُتَحَرِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَفَدَّ بَكَاءَ بَغْضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئسَ الْمَصِيرُ } (١) .

(١) الأنفال : ١٦ .

٢ - الكفر بعد الإيمان : قال الله تعالى : { مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ
إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا
فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (١) .

٣ - المحاجة في الله : قال تعالى : { وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا
أَسْتَجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ } (٢) .

٤ - الطغيان : قال تعالى : { كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ
فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى } (٣) .

٥ - تعمد قتل المؤمن بغير حق : قال تعالى : { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا
مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَغَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ
عَذَابًا عَظِيمًا } (٤) .

٦ - الظن بالله ظنَّ السوء : قال تعالى : { وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ
وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُنُّ السَّوِّءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ وَعَغَضَبَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ وَلَعْنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } (٥) .

(١) النحل : ١٠٦ .

(٢) الشورى : ١٦ .

(٣) طه : ٨١ .

(٤) النساء : ٩٣ .

(٥) الفتح : ٦ .

٧- الكفر باليوم الآخر : قال تعالى : { يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ } (١) .
فهذه بعض الآيات التي تبين لنا بعض الأعمال التي تؤدي إلى غضب الله ،
والعياذ بالله تعالى .

(ب) في السنة :

وردت في السنة بعض أحاديث تبين لنا بعض الأعمال التي من فعلها تسببت في غضب الله عليه والعياذ بالله ، ومن تلك الأعمال :

١- الحلف على مال المسلم بغير حق : عن عبد الله بن مسعود **t** ، أن النبي **e** قال : (من حلف على مال امرئٍ مسلمٍ بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان) قال عبد الله **t** : ثم قرأ علينا رسولُ الله **e** مصداقَهُ من كتاب الله **U** : { إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (٢) .

٢- ترك الصلاة : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قام بصري قيل: نداويك وتدع الصلاة أياماً؟ قال : لا ، إن رسول الله **e** قال: (من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان) (٣) .

(١) الممتحنة : ١٣ .

(٢) رواه البخاري (٤٥٤٩) ، مسلم (١٣٨) واللفظ لمسلم .

(٣) رواه الطبراني في الكبير والبخاري ، وقال المنذري في الترغيب (٨٠٣) : إسناده حسن . ومعنى : " قام بصري " أي : ذهب بصري . تقول : " قامت العين " : إذا ذهب بصرها والحدقة صحيحة .

٣ - المخاصمة في الباطل : عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في حديث طويل قال : سمعت رسول الله e يقول : (... ومن خصم في باطل وهو يعلم لم يزل في سخطٍ من الله حتى ينزع)^(١) .

٤ - الإعانة على خصومة بظلم : عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في حديث طويل قال : سمعت رسول الله e يقول : (... ومن أعان على خصومةٍ بغير حق فهو مُستظَلُّ في سخطِ الله حتى يترك) .
وفي رواية أبي داود t ، عن النبي e بلفظ : (من أعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب من الله)^(٢) .

وعند ابن ماجه عنه بلفظ : (من أعان على خصومة بظلم) أو : يُعِينُ على ظلم) لم يزل في سخطِ الله حتى يترع)^(٣) .

٥ - الشفاعة في حدود الله : عن أبي الدرداء t عن النبي e قال : (أيما رجل حالت شفاعته دون حد من حدود الله لم يزل في سُخطِ الله حتى ينزع)^(١) .

(١) رواه أحمد (٧٠ / ٢) رقم (٥٣٨٣) وقال محققو المسند: إسناده صحيح. ورواه أبو داود (٣٥٩٧)، والحاكم (٢٧ / ٢) بتمامه ، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.
(٢) رواه أحمد (٨١ / ٢) رقم (٥٥٤٤) وقال محققو المسند : حديث حسن ، وعزاه في الجامع الصغير إلى الطبراني، وهو عند الحاكم (٩٩ / ٤) ، وأبي داود (٣٥٩٨) ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .
(٣) رواه ابن ماجه (٢٣٢٠) .

- ٦ - التماس رضا الناس بسخط الله : عن عائشة رضي الله عنها
 قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من التمس رضا الله بسخط الناس ،
 كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله ، وكَلَهُ اللهُ
 إلى الناس)^(٢) ، وفي رواية لابن حبان: (من التمس رضا الله بسخط
 الناس، رضيَ اللهُ عنه، وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضا الناس
 بسخط الله ، سخط اللهُ عليه ، وأسخط عليه الناس) .
 وروى الطبراني مرفوعاً إلى النبي ﷺ : (من تحب إلى الناس بما يحبونه ،
 وبارز الله تعالى ، لقي الله U وهو عليه غضبان)^(٣) .
- ٧ - الاعتداء على المسلمين بغير حق : عن أبي أمامة t قال : قال
 رسول الله ﷺ : (من جرّد ظهر مسلم بغير حق ، لقي الله وهو عليه
 غضبان)^(٤) .

(١) قال المنذري في " الترغيب والترهيب " (٣٣٢٢) : رواه الطبراني ، ولا يحضرنى
 الآن حال إسناده . وقال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٢٠١ / ٤) رواه الطبراني في
 " الكبير " وفيه من لم أعرفه . ا.هـ .

(٢) رواه الترمذي (٢٤١٤) ، وابن حبان (٢٧٦) ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط :
 إسناده حسن .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٢٨١٧) ، وقال الهيثمي في " المجمع " (٢٢٤ / ١٠) :
 وفيه الفضل بن المختار ، وهو ضعيف ا.هـ .

(٤) الطبراني في الكبير ، والأوسط (٢٣٣٩) ، وقال المنذري في " الترغيب " (٣٦١٥)
 : إسناده جيد .

٨ - مشية الخيلاء : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله **e** يقول : (من تعظّم في نفسه ، أو اختالَ في مشيته ، لقي الله تبارك وتعالى وهو عليه غضبان) ^(١) .

٩ - التشبه بجلوس المغضوب عليهم : عن الشَّرِيدِ بنِ سُوَيْدٍ **t** قال : مرّ بي رسول الله **e** ، وأنا جالسٌ وقد وضعتُ يدي اليسرى خلف ظهري ، واتكأت على ألية يدي فقال **e** : (لا تقعد قعدة المغضوب عليهم) ^(٢) .
نعوذ بالله **U** من أن نُعرّض أنفسنا لغضب الله ، فكما قال **U** :
{ وَمَنْ يَحْتَلِ عَلَيْهِ عَضِي فَقَدْ هَوَى } ^(٣) ، ومن غضب عليه الله **U** فمن ذا الذي يرضى عنه؟! ، ولو رضيت الدنيا كلها عنه لن ينفعه ذلك الرضا ، إلا رضا الله تبارك وتعالى ، ولو رضي الله **U** عليه ، لا يضره غضب الناس كلهم ، ولو كان كل أهل الأرض ، لأن الله **U** رضي عنه .
نسأل الله **U** أن نكون من الذين رضي عنهم ، وألا يجعلنا من المغضوب عليهم ، إنه سبحانه وتعالى ولي ذلك والقادر عليه .

(١) رواه الإمام أحمد (١١٨ / ٢) ، والبخاري في الأدب المفرد (٥٤٩) ، والحاكم (٦٠ / ١) وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال المنذري في "الترغيب" (٤٣٠٢) : رواه الطبراني في "الكبير" واللفظ له ، ورواه محتج بهم في الصحيح .
(٢) رواه الإمام أحمد (٣٨٨ / ٤) ، وأبو داود (٤٨٤٨) ، وابن حبان (٥٦٧٤) .
(٣) طه : ٨١ .

#

وَلَا الضَّالِّينَ

من هم الضالون ؟

تقدم قول النبي ﷺ في أن : { وَلَا الضَّالِّينَ } هم النصارى (١).
والضلال هو الحيرة وعدم العلم وعدم المعرفة .

لماذا الغضب لليهود ، والضلال للنصارى ؟

قال الحافظ ابن كثير يرحمه الله : (واليهود فقدوا العمل ، والنصارى فقدوا العلم ، ولهذا كان الغضب لليهود ، والضلال للنصارى ؛ لأن من علم وترك استحق الغضب ، بخلاف من لم يعلم ، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقه ؛ لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه ، وهو اتباع الرسول الحق ؛ ضلّوا ، وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه ، لكنّ أخصّ أوصاف اليهود الغضب ، وقد قال الله تعالى فيهم : { مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ } (٢) وأخصّ أوصاف النصارى الضلال كما قال الله تعالى : { قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ } (٣) (٤).

(١) رواه الإمام أحمد من حديث عدي بن حاتم (٣٧٨/٤)، وتقدم الحديث صـ ١١٥.

(٢) المائة : ٦٠ .

(٣) المائة : ٧٧ .

(٤) تفسير ابن كثير (١ : ١٦٤) بتصريف يسير .

علامة الهداية وعلامة الضلال :

وأما طريقة أهل الإيمان والإسلام، فهي مبنية على العلم بالحق والعمل به، وبهذا تميزت هذه الأمة المسلمة بهذه الصفة العظيمة ، فهم يعلمون الحق ويعملون به بإذن الله U ، فمن علم بالحق من المسلمين ولم يعمل به ففيه شبه من اليهود ، وفيه شبه من هؤلاء الناس الذين غضب الله U عليهم وفيه من غضب الله U بقدر ذنبه ومعصيته ، ومن لم يعلم وسلك غير طريق رسول الله e ، وابتعد عن هديه وعن نهجه، ففيه شبه من النصارى ؛ لأنه ضل عن صراط الله المستقيم ، وضل عن سنته وهديه e .

قال الإمام أبو جعفر الطبري : " فكل حائر عن قصد السبيل وسالك غير المنهج القويم فضال لإضلاله وجه الطريق " (١) .

وعلامة الهداية انشراح الصدر ، وعلامة الضلالة ضيق الصدر ؛ كما قال الله تعالى : { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ } (٢) .

بعض صفات أهل الضلال :

ونذكر هنا بعض صفات الضالين حتى نتجنبها ، ونبتعد عنها ، ونحذر الوقوع فيها ؛ فمن صفات الضالين :

(١) تفسير ابن جرير (١ / ١٩٧) .

(٢) الأنعام : ١٢٥ .

١ - **الشرك** : أن تشرك بالله U بعبادة الأوثان، أو بالشرك الخفي وهو الرياء والعياذ بالله U ، بأن تشرك مع محبة الله U محبة أحد من خلقه ، أو مع الخوف من الله U خوفاً من أحد من خلقه ، أو تستغيث بغير الله ، أو تدعو غير الله U ، أو تلجأ لغير الله ؛ وكل ذلك من الأمور التي احتصها الله U لنفسه ، فإذا صُرِفَتْ لغيره كان هذا شركاً بالله U .

قال الله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } (١) .

٢ - **الكفر بأركان الإيمان أو ببعضها** : وأركان الإيمان ستة : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره من الله تعالى .

قال تعالى : { يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ ءَالْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } (٢) .

وقال سبحانه وتعالى أيضاً : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ } (٣) .

(١) النساء : ١١٦ .

(٢) النساء : ١٣٦ .

(٣) آل عمران : ٩٠ .

٣- الصدّ عن سبيل الله : الصد عن الدعوة إلى الله تعالى ، الصدّ عن كل طاعة لله تبارك وتعالى ، فمن صدّ عن سبيل الله ، وكان سداً بين الناس وبين طاعة الله U ، فقد عرّض نفسه للضلال .

قال الحق تبارك وتعالى : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلًّا بَعِيدًا } (١) .

وقال تعالى : { وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ } (٢) ، ولا يكفيهم أنهم صدوا عن سبيل الله ، بل يسعون لجعل صراط الله المستقيم عوجاً مثل اعوجاج طريقهم والعياذ بالله U ، وهكذا الضالون الذين سلكوا سبل الضلال الكثيرة ، لا يريدون لأهل الإيمان أن يستمروا على صراط الله المستقيم ، بل يريدون أن يصرفوهم ويصدّوهم عن هذا الصراط ، كما ذكر الله تبارك وتعالى .

٤- معصية الله ورسوله : قال الله تعالى : { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُّبِينًا } (٣) ، يتبين من هذه الآية أن معصية العبد لله تبارك وتعالى ، تعرضه للضلال والعياذ بالله U ، فعلى المسلم أن يتقي الله تبارك وتعالى ،

(١) النساء : ١٦٧ .

(٢) إبراهيم : ٣ .

(٣) الأحزاب : ٣٦ .

فبقدر ما يكون مرتكباً للمعاصي ، بقدر ما فيه من الضلال ، وبقدر ما يتخلص من هذه المعاصي ، بقدر ما يتخلص من هذا الضلال .

٥- موالاة الكفار : والمقصود بالموالاة للكافر : حبه بالقلب ، ومتابعته

في العمل ؛ قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْنِعَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } (١) .

٦- اتباع الهوى : فمن اتبع هواه فقد وقع في الضلال، قال الله تعالى :

{ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِبْرٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَغَطَّىٰ عَنَّا بَصَرَهُ وَسَتَوٰهُ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } (٢) .

وقال تعالى : { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (٣) .

وقال الرسول المصطفى ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) (٤) .

٧- الظلم : فمن كان ظالماً، فقد عرض نفسه للضلال؛ قال الله تعالى :

{ يَشِيتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ

(١) الممتحنة : ١ .

(٢) الجاثية : ٢٣ .

(٣) القصص : ٥٠ .

(٤) رواه البخاري في قرة العينين (٤٥) .

اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ { (١) ، فإذا أردت أن ينجيك الله من الضلال فابعد عن الظلم، فالظلم ظلمات يوم القيامة، والظلم ضلال في الدنيا والآخرة.

٨- اللهو والغفلة : قال تعالى : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ } (٢) .

٩- الإسراف والارتياب : قال تعالى : { كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ } (٣) .

١٠- اليأس والقنوط : قال تعالى : { وَمَن يَقْنَطْ مِنْ رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ } (٤) .

١١- قسوة القلب : قال تعالى : { فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } (٥) .

١٢- الفسق : وهو الخروج عن طاعة الله تعالى، والوقوع في معاصيه؛ قال تعالى : { وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ } (٦) .

(١) إبراهيم : ٢٧ .

(٢) لقمان : ٦ .

(٣) غافر : ٣٤ .

(٤) الحجر : ٥٦ .

(٥) الزمر : ٢٢ .

(٦) البقرة : ٢٦ .

١٣ - التحاكم إلى الطاغوت : قال تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } (١).

١٤ - الجدل : عن أبي أمامة **t** قال : قال رسول الله **e** : (ما ضلَّ قومٌ بعد هُدًى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) ثم قرأ : { مَا صَرَّيْتَهُ لَكَ إِلَّا جِدَلًا } (٢).

١٥ - صديق السوء : فهو يقود صديقه إلى الضلال والعياذ بالله ؛ قال الله تعالى : { وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلْبِغْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَنْوَلَّتْ لِيَتْنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا } (٣).

الضالون عن الله ؛ أضلُّ من الأنعام :

(١) النساء : ٦٠ .

(٢) رواه الإمام أحمد (٥ : ٥٥٢ ، ٢٥٦) ، والترمذي (٣٢٥٣) ، وابن ماجه (٤٨) ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . والآية من سورة الزخرف : ٥٨ .

(٣) الفرقان : ٢٧-٢٩ .

ثم إن الضالَّ أضلَّ عند الله تعالى من الأنعام ، قال الله تعالى : { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } (١) .

ضلال الضال على نفسه :

وكما أن الهداية للإنسان ، فالضلال عليه ؛ قال الله تعالى : { فَمَن أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا } (٢) .
ومن ضل الطريق في الدنيا ، فسيضل عن طريق الله U في الآخرة ؛ قال الله تعالى : { وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُنلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ } (٣) .

#

(١) الأعراف : ١٧٩ .

(٢) يونس : ١٠٨ .

(٣) المؤمنون : ١٠٣ - ١٠٧ .

ء آمين

معناها :

آمين : اسم فعل .

وفي معناها ثلاثة أقوال ذكرها الحافظ ابن الجوزي في تفسيره :

الأول : بمعنى اللهم استجب ، قاله الحسن والزجاج .

الثاني : بمعنى كذلك يكون ، حكاه ابن عباس والحسن .

والثالث : بمعنى أنه اسم من أسماء الله تعالى ، قاله مجاهد .

وقيل : ربّ افعل ، عن ابن عباس .

وقال الترمذي : لا تَحْيَب رجانا .

والقول الأول هو الأشهر والأصح في تفسير هذه الكلمة، وهو بمعنى :

اللهم استجب .

لغاتها :

{ آمين } ، وهي بالمد والتخفيف في جميع الروايات وعن جميع القراء .

وهي أصحُّ اللغات لهذه الكلمة .

وحكى الواحدي عن حمزة والكسائي الإمالة .

وفيه ثلاث لغات أخرى شاذة :

١ - بالقصر : { أمين } .

٢ - التشديد مع المد : { آمين } .

٣ - التشديد مع القصر : { آمين } ^(١).

وكما نعلم أن آمين الهمزة في أول هذه الكلمة فيها مد يسمى مد البدل، ومد البدل يمد بمقدار حركتين اثنتين فقط ، فلا يصح أن يقرأها المسلم آمين، بل عليه أن يقصر المد في الألف ويطيل المد في الياء ؛ (أميييين) لأن المد في الياء هو مد عارض للسكون ، يجوز فيه الحركتان والأربع والست حركات ، فلا يصح ما يقوله كثير من الناس أنهم يمدون الألف ويمدون الياء بنفس المد فيقرئونها (آمينيين) وهذا خطأ ، والصواب أن يقصر المد بالألف ، ويطيل في الياء ، ويقرأها هكذا (أميييين) .

حكما :

وهي سنة ثابتة عن النبي e فقد روى مسلم عن أبي موسى الأشعري t قال : قال رسول e : (إذا صليتم ، فأقيموا صفوفكم ، وليؤمكم أحدكم ، فإذا كبر فكبروا وإذا قال : { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } فقولوا : آمين ، يجبكم الله) ^(٢).

(١) فتح الباري (٢ : ٣٠٦) .

(٢) رواه مسلم : (٣٠٣) في كتاب الصلاة .

وروى البخاري معلقاً عن عطاء قال : آمين دعاءً . أمّن ابن الزبير ومن وراءه حتى أن للمسجد للَجَّة ، وكان أبو هريرة ينادي الإمامَ : لا تُفُتني بآمين (١) .

قوله : (للمسجد للَجَّة) أي : صوت عظيم بالتأمين ، يُسمع في مساجد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وأرضاهم ، من فرحهم بهذه الكلمة ، ولأنها تخرج من قلوبهم وهم يطلبون من الله أن يستجيب لهم ، وأن يتقبل دعائهم ورجائهم .

ويسنُّ قراءتها في الصلاة وغيرها ، للإمام والمأموم والمنفرد ، ويُجهر بها في الصلاة الجهرية ، وهو قول جمهور أهل العلم .

وقال السادة الحنفية بإخفائها وعدم الجهر بها ، وهو قول عليّ **t** .
ولذلك لا تستغرب إذا سافرت إلى بلدٍ من البلدان التي يشيع فيها المذهب الحنفي ، فإذا قرأوا بهذه السورة العظيمة تجدهم لا يتلفظون بآمين ، فهم في الحقيقة يقولونها ، ولكن لا يجهرون بها ، وإنما يقولونها خفية ، وهكذا هو مذهب الإمام أبي حنيفة ، وقول عليّ **t** وأرضاه ، وأما قول الجمهور فهو الجهر والإعلان بهذه الكلمة .

هل (آمين) من القرآن ؟

(١) صحيح البخاري "كتاب الأذان" باب: جهر الإمام بالتأمين. "فتح الباري" (٢ / ٣٠٦) .

وكلمة (آمين) ليست من القرآن إجماعاً ؛ لأنها لم تكتب في مصحف عثمان **t** ، المصحف الإمام ، المعتمد المعتد به ، ولا في غيره ، فهي ليست من كلام الله تعالى ، ولكنها سنة ثابتة عن النبي **e** .

فضل التأمين :

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة **t** أن النبي **e** قال : (إذا قال الإمام : { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } فقولوا : آمين ، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر الله له ما تقدم من ذنبه)^(١) .
أي : من صغائر الذنوب ؛ أما الكبائر فلا بد فيها من توبة صادقة ، وإقلاع عن الذنب .

وفي رواية البخاري : (إذا قال أحدكم : آمين . وقالت : الملائكة في السماء آمين ، فوافقت إحداهما الأخرى ، غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه)^(٢) .
وفي رواية النسائي : (غفر لمن في المسجد)^(٣) .

قال الحافظ ابن كثير: قيل : من معنى (فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة) في الزمان ، وقيل : في الإجابة ، وقيل : في صفة الإخلاص^(٤) .
وقد رجَّح الحافظ ابن حجر وغيره أن المراد بالموافقة هو الموافقة في القول والزمان .

(١) رواه البخاري (٧٨٠) ، ومسلم (٤١٠) .

(٢) رواه البخاري (٧٨١) .

(٣) رواه النسائي (١٤٤ / ٢) .

(٤) ابن كثير (١٦٧ / ١) .

ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن المنير قوله : الحكمة في إثارة الموافقة في القول والزمان أن يكون المأموم على يقظة للإتيان بالوظيفة في محلها ؛ لأنّ الملائكة لا غفلة عندهم ، فمن وافقهم كان متيقظاً .

وقيل : المراد بالملائكة جميعهم ، وقيل : الحفظة ، وقيل : الذين يتعاقبون ، قاله الحافظ ابن حجر في الفتح ، ثم قال : والذي يظهر أن المراد بهم من يشهد تلك الصلاة من الملائكة ممن في الأرض أو في السماء (١) .

وروى عبد الرزاق عن عكرمة قال : "صفوف أهل الأرض على صفوف أهل السماء ، فإذا وافق أمين في الأرض أمين في السماء غُفِرَ للعبد " . قال ابن حجر : ومثله لا يُقال بالرأي فالمصيرُ إليه أولى . اهـ (٢) .

حسد اليهود للمؤمنين على التأمين :

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : (ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين) (٣) .

وعنها رضي الله عنها أيضاً : أن النبي ﷺ جاءه ثلاثة من اليهود . فقال : (تدرين علي ما حسدونا ؟) قلت : الله ورسوله أعلم . قال : (فإنهم

(١) "فتح الباري" (٢ / ٣٠٩) .

(٢) "فتح الباري" (٢ : ٣٠٩) .

(٣) رواه ابن ماجه (٨٥٦) .

حسدونا على القبلة التي هدينا لها وضلوا عنها ، وعلى الجمعة التي هدينا لها وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام : آمين (١) .

خص الله بها نبينا محمداً ﷺ بعد موسى وهارون عليهما السلام :

قال الله تعالى : { وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْدُدْ عَلَيْنَا قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (٢) .

وقيل : أن موسى كان يدعو وهارون يؤمن ، فالتأمين على الدعاء هو كالدعاء أيضا ، فلذلك استجاب الله لهما تبارك وتعالى وقال : { قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا } الذي يدعو والذي يؤمن .

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : (أعطيت آمين في الصلاة ، وعند الدعاء ، ولم يعط أحدا قبلي إلا أن يكون موسى ، كان موسى يدعو وهارون يؤمن ، فاختموا الدعاء بآمين ؛ فإن الله يستجيب لكم) (٣) .

(١) " السنن الكبرى " للبيهقي (٢٢٧١) .

(٢) يونس : ٨٨-٨٩ .

(٣) عزاه ابن كثير في تفسيره إلى ابن مردويه " ابن كثير (١ : ١٦٨) " ، ورواه ابن خزيمة (٣٩/٣) وهو هنا بمعناه ، وانظر : " الترغيب والترهيب " للمنزدي (٧٢٠) ط . دار ابن حزم .

ولذلك يستحسن ويستحب للمسلمين أن يختموا أدعيتهم بالتأمين ، لأنه علامة على إجابة دعائهم ، وعلى قبوله ؛ بإذن الله تعالى .

#

هذا مايسر الله تعالى من الكلام على تلك السورة العظيمة المباركة)

(سورة الفاتحة)

أسأل الله أن يجعله عملاً مقبولاً وأن ينفع به كل من قرأه واطلع عليه .

آمين

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

د. عبد الله بن علي بصفر

الفهرس

| | |
|----|--|
| ٥ | المقدمة |
| ٦ | معنى الاستعاذة ، وصيغها |
| ٧ | حكم الاستعاذة |
| ٨ | ورودها في القرآن الكريم |
| ٩ | الحالات التي يُستحبُّ الاستعاذة فيها |
| ١٤ | التعريف بالبسملة ، وفضائلها |
| ١٧ | بعض ما جاء في بركتها |
| ٢٣ | لفظ الجلالة؛ معناه واشتقاقه واختصاصه به سبحانه |
| ٢٥ | أسماء الله الحسنى في القرآن |
| ٢٦ | اسم الله الأعظم |
| ٣٠ | معنى الحمد |
| ٣٢ | مدلول اسم "رب" ، ومعنى "العالمين" |
| ٣٣ | ورود الحمد في أوائل بعض السور |
| ٣٣ | السور التي اختتمت بالحمد |
| ٣٥ | فضل الحمد ، وصيغته |
| ٣٦ | من الأحوال التي يُحمدُ الله فيها |
| ٤٣ | الرحمن الرحيم ؛ اشتقاقهما ومعناهما |
| ٤٤ | اختصاص "الرحمن" بالله تعالى |

| | |
|----|---|
| ٤٦ | أنواع الرحمة : |
| ٤٦ | الرحمة العامة |
| ٥٠ | الرحمة الخاصة |
| ٥٢ | الرحم مشتقة من اسم "الرحمن" |
| ٥٤ | معنى "مالك يوم الدين" |
| ٥٦ | ورود عبارة "يوم الدين" في القرآن |
| ٥٧ | الجزء من جنس العمل |
| ٦٥ | السُّرُّ في "إياك نعبد" |
| ٦٥ | لماذا قدّم "إياك" على "نعبد" |
| ٦٧ | معنى العبادة |
| ٧٠ | شروط التحقق بـ "إياك نعبد" |
| ٧١ | العبودية خاصة وعامة |
| ٧٢ | وصف الرسول ﷺ بالعبودية في القرآن |
| ٧٣ | وصف الرسول ﷺ نفسه بالعبودية |
| ٧٤ | من ثمرات العبودية |
| ٧٦ | الاستعانة وورودها في القرآن على لسان الأنبياء |
| ٧٦ | أنفع الدعاء |
| ٧٩ | عجز العبد سبب استعانته بالله |
| ٨٠ | فضل "لا حول ولا قوة إلا بالله" |

| | |
|-----|---|
| ٨١ | ومن الاستعانة بالله |
| ٨٣ | الكلام عن الهداية |
| ٨٤ | هداية التوفيق نوعان : |
| ٨٤ | الهداية العامة |
| ٨٦ | الهداية الخاصة |
| ٨٨ | من أسباب الهداية |
| ٩١ | المخرومون من الهداية |
| ٩٣ | المقصود بـ "الصراط المستقيم" |
| ٩٤ | بيان نبويٍّ للصراط المستقيم |
| ٩٥ | نسبة الصراط إلى الله تعالى |
| ٩٦ | نسبة الصراط إلى عباد الله الصالحين |
| ٩٧ | النبي ﷺ يرشد إلى الصراط المستقيم |
| ٩٨ | الشيطان يريد إبعاد الإنسان عن الصراط |
| ٩٩ | وصف نبويٍّ لصراط جهنم |
| ١٠١ | ما يعين على جواز الصراط |
| ١٠٤ | النعمة الواردة لا بد فيها من معرفة أمور ثلاثة |
| ١٠٤ | ١ — المنعم |
| ١٠٥ | ٢ — النعمة |
| ١٠٧ | ٣ — المنعم عليهم |

| | |
|-----|--|
| ١٠٩ | النبوة والأنبياء |
| ١١٠ | الصديقون والشهداء |
| ١١٢ | الصالحون |
| ١١٤ | مَنْ هم المغضوب عليهم ؟ |
| ١١٨ | أفعالٌ تُؤدِّي إلى غضب الله |
| ١٢٤ | من هم الضالون ؟ |
| ١٢٤ | لماذا الغضب لليهود ؟ والضلال للنصارى ؟ |
| ١٢٥ | علامة الهداية، وعلامة الضلال |
| ١٢٥ | من صفات أهل الضلال |
| ١٣٢ | معنى "ءامين" ، ولغاتها |
| ١٣٣ | حكم التأمين |
| ١٣٤ | فضل التأمين |
| ١٣٦ | حسدُ اليهود للمؤمنين على التأمين |
| ١٣٦ | خص الله رسولنا ﷺ بآمين بعد موسى وهارون |
| ١٣٩ | الفهرس |